

فَصُول

مَخْتَارَات

٩٧

نَعِيم عطية

قبلة الريح



مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

(٩٧)



الهيئة العامة للكتاب

١٩٩٥

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. سمير سرخان

رئيس التحرير
سامي خشبة

نائب رئيس التحرير
إبراهيم أصلان

مدير التحرير
خيرى عبد الجواد

المشرف الفنى
صبرى عبد الواحد

الغلاف للفنان
عماد حليم

قبلة الريح

نسيم عطية

اهداء

الى فوزى

الذى هاجر بعيدا ، واستقر ، ودفن جثمانه فى
الثلج ، هناك •
أما روحه فلا زالت فى الدفء تحيا ، ترفرف مثل
النسمات ، هنا •
فى شارع الاسكندراني ، والشاطبي ، والشلالات •

• • • • •

هنا ، وان كان لا ينبت ثمر ،
يتفتح فى كل الأرجاء زهر • • •
لهذا ، كلما ظفرت بشيء
كن مثل الريح
المسافر فى ديار الحكمة ،
لا يعادى أحدا
ولا ينحاز لشيء •

موسكوف — من « القصائد الباكرة » — ٣٢/١٣

ضوء قمر لا تتبدل أساريه

كتوم متحفظ • تحمل في أعماقك عزلة ترجع الى
سنواتك الباكرة • تتوق الى استرداد اهتمامة شفتين
كأنهما من رخام وردى ، أو من قטיפه ، أو من هذا وذاك
قدتا معا • جوهرة صلبة • لم تندم على افتقارك البرح ،
فقد وضعت كل ذلك في كفة ، وفي الكفة الأخرى
معتقلا ، رجعت الكفة الأخرى • وحيدا منطو على نفسك
رحت تبحث عن النوافذ ، تطل منها على بحار سوداء •
تلمح قمم أمواجها ، في ضوء قمر لا تتبدل أساريه •

تطرق أهوايا ، بعضها يفتح • وفي الليل تجوس
بحذر • تناجي أشباحا • وتتكلم ، إذا ما تعبت ، على
جدوع شجر أجرد ، ولا زال حبلك السرى موصولا برحم
الليل الأكبر •

مع أولئك الذين يديرون وجوههم نحونا ؟ عند
المنعطف شبح أم ، وقفت ترقب من هناك ، عودة الأبناء ،
أو رسلا بالأخبار إليها يأتون عنهم •

اغلق الأبواب بسرعة • عد انزوى فى ركنك •
بالقرب منك عجوز على سريره مسجى • أهو أنت ؟ • فى
هدوء الليل تملو نغمات حزن وآهات تصعد من
حلق البشر •

لازلت مغروسا فى العزلة الأولى • تمضى قدما •
تلتوي من نقطة حاشمة • أخرس أيضا • لئ تفتقد تقوى
على الشير • بنجرذا عبور العتبة • سوف يكون هذا
خالك • بصنموية أضوع لك هذه الفكرة •

لم أعد أحرك هذا العطن النتن • أين هو ؟ بازلت
غلي أى حال قادرا أن أفكر •

ابعد عن ذاكرتك ذلك العالم هناك • يجب ألا يكون
له فى خاطرك وجنود • زال الذى كان به يربطك •
تحلل وصار أسوأ حتى من التراب •

لا شيء يضيق • يختفى فحسب • ثم لا يلبث أن
يظهر • ربما فى أوقات غير متوقع ظهوره فيها • أوليس
بحاجة الى ظهوره فيها ؟

أعرف • أنت محق • تغلق بابك وتصد عن ذاتك
ذلك الخارج الذى أضحي منفرا • عدوانيا • سقيما •
ولكن الذات إذا انغلقت أيضا تغربت • أليس كذلك ؟
بين الذات والخارج حوار • وتواصل • ومبادلات •
لا تقطع هذا الحوار • وهما التواصل لا تبدده • حتى

لا تضحي قوقعة جوفاء • ربما سيكنك مخلوق آخر ، أنت
عنه لا ترضي •

من أين جاءت كلمات مثل هذه ؟ أكان يجب أن
نصل إلى هنا ، كى ندرك خواء الكلمات ؟ تلك الركيبة
الملاى بالكراكيب التى ما عاد لها جدوى ، إما كان
الأفضل أن نفضها عن كواهلنا المتعبة ؟
الى أنوفنا يفد عبق زخم ، والأصوات انطفأت لكن
أصداءها فى السكون لازالت ترن • كل شيء يجرى فى
الذهن • لا شيء تحقق •

• أكاد أجزم بأنه مؤلف كوميديات مضجعة • حسه
الساحر حارق لاذع وبالا انسان لا تأخذه رحمة أو شفقة •
ومع ذلك تصفق له الصالة كل ليلة ، ويمضى الممثلون
يمثلون الأدوار التى يفرضها عليهم ، فهو أيضا ممول
الفرقة والمخرج الأوحى ، وإن كان لا يظهر على اللافتات
اسمه • وفى الكواليس يمضى متسترا ، متواضعا شأن
العابرة ، فهو ولا شك سمج ولكن عبقري •

محور أساسى واحد تدور حوله أعماله المسرحية •
تتنوع التسميات والبيئات والأماكن والأزمنة ، وتخلع
أقنعة ، وترتدى أخرى ، ومع ذلك تمضى الملهاة المؤسسية
على خشبة المسرح ، أو بمباراة أدق بين الضلوع ، تدور
وتتأرجح •

لم يجد لنا غير الضحك •

في مقهانا هذا ، في « مرحبا » ، ما عاد لنا سوى
الضحك ممن أتوا وممن سيأتون ، أو حتي ممن سوف
لا يأتون ، وهذا غير محتمل ، حسب الظواهر والسوابق ،
حتى من هؤلاء على أي حال ، أن وجدوا ، لم يبق لنا
غير الضحك •



تصعد جبالا ، وتتبوا عروشا • تفوس في أعماق
بحار ، تصارع هناك وحوشا ، وتلتقط لتلك الادغال
صورا وافلاما • تنزل الى باطن الأرض ، تستخرج ذهبها
ومعادن ، أو تدق بريمات وخوابير في صحار أو بقاع
موحلة ، فيتدفق البترول بين يديك وتملا منه براميل •
تضحى أغني الأغنياء ، لكنك ذات يوم سوف تصرخ
قائلا كنت أغني الأغنياء • ماذا نفعل أن أكنز نقودا
في البنوك ، أو أجمع معلومات ومعارف عن سياسة
الى شركات ، وأراجع احصاءات للخسائر والأرباح
والصفقات • سوف تحلق في السماء ، بالطائرات وتنطلق
في نزعات ورحلات ، وتقضي الأسياف في الريفيرا أو
برميودا ، أو تسهر في هلب الليل سهرات وسهرات ،
وتنتشي بالكؤوس تلو الكؤوس ، تلمس لحما طريا دافئا ،
وتتخيس ثنيات وانبيجات • كل هذا لا يمثل انجازا
ولا يعطى مذاقا • حتى لو صليت في اليوم الواحد
مئات الصلوات ، لا شيء يدخل السكنة الى القلب •

لا شيء • وددت فحسب أن أعيد الشريط كي أكتشف من جديد نفسي • لم أعرف ، ويهمني الآن ، ولو بمد الإوان ، ان أعرف من أنا ؟ كان يجب أن أعرف ماذا أريد • أن أعرف على وجه التحديد ذاتي الحقيقية . وليس المحبة بآلف قناع وقناع • سوف تدخل الآن يدك في تجويف صدرك • تبحث عن قلبك لتخرجه وتتجاوز معه • سوف تنظر إليه بمحجريك ، وإذا بك وأنت تتأمل يدك الخاوية ، تجد انه ما عاد لقلبك في صدرك وجود ، ولا بالتالي في راحتك ، وبين أصابعك التي تطبق الآن على لا شيء • الخواء ممتد ، لا من حولك فحسب ، بل وفيك أيضا • ستنهد لذلك مهموما في ركنك ، ولكن أشده من عزيمتك فهي الشيء الوحيد الذي بقي لك •

تعال تعجاذب الحديث ، ونثرثر • نحدد ماذا يجب أن يكون هدف وجودنا ، على ضوء ما نحن فيه الآن • لا تخف • لا تعتمد ، ولا تصرخ ، فالوجود باق مادام لي ولك وجود • مهما أطبقت راحتنا على الريح فحسب •

سوف تكتشف من تجاوزنا أن هذا المكان مكان ، أما هناك فالمكان بالقطع لا مكان ، والناس هناك أشباح يجولون في قيظ الهجير ، بلا هدف • يصعدون جبالا ، ينزلون بحورا ، ويحفرون أنفاقا وسرايب • هيا قل : وأنت ماذا كنت تريد أن تكون ؟ صانع لعب أطفال ؟ أدخل يدك في صدرك من جديد ، فربما وجدته الآن •

أوهم نفسك بأنه هناك • سارع باخراجه ودقق النظر فيه • ألا يزال هناك ؟

اخترت أنا الصوت • اخترت الحوار • هذا ما ظل باق لنا • الصوت بالنسبة لى وجود • والوجود يعنى التفكير فى الحيوأت الآتية والتى ولت • الوجود ، يعنى الحرية • والحرية تعنى ألا أمل فى شىء ، وألا أخاف شيئا • الوجود اذن خزانة خبرات • وهى الخزانة الوحيدة التى لا تفنى ولا تستنفد ، مهما امتدت يد النهابين اليها • هنا تصبح لأحلامنا قيمة ، حتى لو كانت هذه الأحلام كوابيس ، وهنا فى مقهانا هذا لا وجود إلا للكوابيس التى ألفناها •

هيا أسمعنى ضوتك ، ولو كان صراخا أو نحيبا ، أو ضحكا ، فحتى جلستنا هنا قد تصبح ذات يوم بكل تفاصيلها ذات قيمة لكاتبهم جاد يعرف كيف يضعك ضحكة سوداء من تحت كز الأسنان ان وجدت • وانى لأعرف واحدا تنطبق عليه ، أو كانت تنطبق عليه هذه الأوصاف ، اسمه — ان لم تخنى الذاكرة — اسمه نعيم •

وددت أن أولد نعمة

(خطوات)

كنا نسير جنباً الى جنب في ليلة من ليالى صيف
بعيد، عائدین الى بيتنا ، وما كنا نود بأعماقنا أن ينتهى
بنا الطريق . كنا نتسامر في تلك الأيام الشبابية ،
ولا نمل السمر . أذكره ، أمسك بذراعى . حديق الى
الفضاء المترامى أمامنا ، وأشار الى هناك ، الى « مسجد
نبي الله دانيال » ، قائلاً : بالابتعاد عن المنظر يستقيم
المنظور ، اذ تجوب العين بحرية في جنبات المساحة .
ومن ثم يمكنك أن تضع الأشياء في موضعها الصحيح .
وهي بدورها تتمكن من إعادة ترتيب نفسها . وهكذا
يصبح استيعاب الوجود ممكناً . وبالتالي تلقى الذات
مقامها الصحيح .

(خطوات تخفت مبتعدة)

كان يصغرنى ستة أشهر ، ولكنه رجيل مبكر

وتركنى أتخبط فى هذه الجنبات ، محاولا أن أستجلى
وضعى فى حيز مكان أصم أبكم .

(خطوات تجرى مهرولة)

أهيم على وجهى ، غير قادر على الفهم ، عاجزا عن
التأقلم . أحاول أن أخرج . يمسك ذلك التيه العدواني
المخاتل بتلابيبى أينما ذهبت . أخطو فى شعابه وحيدا
متخبطا ، ضالا طريقى .

(لهاث ، وخطوات متخبطة)

الوجود يأخذ يخناقى ، الى الضلال يلقي بى هالكا ،
مغضوبا على . لم أعتد الكذب على النفس ، والمناقاة .
وددت أن أولد نعمة تدس رأسها فى الرمال عند
الغروب الخطر .

عدت أقول لنفسى معزيا انه عندما تكتمل المسيرة ،
ربما اكتسب كل شيء معنى ، يدخل الى قبي السكينة .
من الرصيف المقابل ، وقدت ضحكة الخنفاء ذات
الشعر القصير الأصفر ، وهى تستدير عند المنعطف ،
وتختفى .

(الخطوات تتوقف . الالهات يسكت . يعم الهدوم)

وقفت أنا وهو عند منمطف شارع « النبي
دانيال » ، وأشار الى جياذ جنزية سوداء ، تمضى تهز
رؤوسها ، وتميلها يمنة ويسرة مثيرة للحزن ، متابعه
فى موكب لا نهاية له • علا وقع سنا بكها الرتيب • قال
هذه المسيرة تحتضن كما وكيفك تلك المسيرة الحثينة التى
يسيرها الوجود بأسره •



لا تمتقد ان التجوال محاولة للاستحواذ على الوجود •
كلا ، الوجود من حولنا يولى ، ومحاولة الاستحواذ عليه
مثل الامساك بحفنة من رمل المندرة فى قبضتك • مهما
شدتها فان الذرات الملسام تنساب فالتة ، فاذا بسطت
راحتك المطبقة ، وجدتھا خوام • كل شئء خوام ، مهما
أحكمت عليه قبضتك •

(صوت عجلات الترام تزحف على الأرض ، ودقات
أجراسه مبتعدة)

لا تمتقد أيضا أن تجوالى فى الدروب محاولة للهرب
من سجن المدينة الذى يحاصرني • كلا ، كلا ، كففت عن
ذلك وما عدت أمل فى الهرب • أضحي تجوالى بين
الأسوار ذات الأسلاك الشائكة وشظايا الزجاج المغروس
فى الحافة الأسمنتية العالية من أجل التأقلم بالمكان
فحسب • انت تعرف ذلك • فهذا فى حد ذاته مسكن
أحتاج اليه ، بل ولا أستغنى عنه •

ارتضيت فى النهاية سجنى *

(صخب حفل بهيج)

وماذا تفتقد انك واجد خارج هذه الأسوار ؟ ترف
ومتع وذمة * ولك أن تتصوركم سيكون شقائى ، وانا
أرقد على أسرة-وثيرة ، فى غرف مكيفة * وكم سيكون
وخز الابر فى جسدى مؤلما ، وأنا أرفل فى الدمقدس
والحرير * دعنى قليلا أسترد توازنى * مجرد التفكير
فى مثل تلك الحياة الجوفاء هناك ، يمرضنى * يصيبنى
بالغثيان والدوار *

(يضحك)

« وما دمت قد خربت حياتك هنا ، فى هذا الركن
الصغير ، فهى خراب أينما كنت فى هذا الوجود » *

(خطوات منتظمة)

سرنا جنبا الى جنب * انحرفنا يسارا فى اتجاه
«العطارين» * على الرصيف المقابل عند سينما «ستار»
رأينا رجلا يحمل حقيبة تثقل خطاه ، ثم بشارع صلاح
الدين عند ديوان المحافظة رأينا آخر يمضى حثيثا
متخففا كما لو كان الأمر الذى يمنية فحسب هو أن يسير
فى أى اتجاه * ضحك صاحبه بجهامة وقال : سوف
ينتهى المطاف بأحدهما الى الموت ، وبالأخر الى سرير
امراة ، سرعان ما يفادرها ليمضى فى ترحاله الى أن

تأتى ساعته بدوره ، ليدرك الأضحوة التى تنطوى
عليها الأوضاع بصفة عامة .

قال سلام تحزن أو تتحسر ، نحن لم نصنعها ،
وليس لنا فيها شيء . صاحبها له حكمته فى تسييس
أمورها . وقال فقط نحن نتعذب . ثم قال هذا ما لنا
فيها ، لكنها ضارية ومضحكة أيضا . تثير الاستفزاز ،
وتبعث الحنان فى الآن ذاته .



(خطوات ، وتنهيدة)

انسان أنا هائم على وجهى فى مدينة . بتجوالى
أنفصل عن الآخرين . أسفى فى طلب معنى لا أجده وان
كنت واثقا فى قرارة نفسى أنه موجود ، وسأجده . أدقق
النظر الى الأشياء دون أن ألصق بها . تأكد ،
انت من خلال الافلات من الوجود تعثر عليه ، وتلقاه من
جديد ، وبفهم أفضل . هل تسمعنى ؟

(الخطوات تمضى مبتعدة ، مبتعدة)

فلأوقف هنا ، مليا

(عزف كمان شجى يفد من بعيد * ويمضى مقترها
مع اقتراب الصوت)
أسمعك *

وأسألك * ما الذى عاد بك الى مدينتنا القديمة ؟
عن عزيز فقدته تبحث ، وجئت تخدع نفسك ، انك هنا
ستجده ؟ عن عراف ، تنتظر منه أن ينطق بنبوءة ؟ أم
جئت هربا من نار تخشى أن يوقع عليك ؟

ما الذى جئت الى مدينتنا من أجله حقا ؟ يا مع
أمضيت سنواتك على منصة القضاء ، وفى أروقة
المحاكم ؟ .. عم جئت ، غداة النكسة ، تبحث ؟

(صغير قطار يدخل المحطة)

جئت باحثا عن حلة وجودى *

جئت للتحرى عن جريمة ظلت غامضة ، عن قاتل
يخنق الربيع فى الصدور *

قلبي مدفون هنا كالميت • يقولون القاتل سرتكب
جريمة من جديد • سيبدأ بأن يقتل ثم يموت •
تصل في الشتاء ، وحيدا ، متحسرا على أيام الدفء
التي مضت •
تبحث عن مأوى •

في محطة الرمل تتسكع • على النواصي في شوارع
المطارين تتمهل • تتلفت حولك • لا يآبه بك أحد ،
تشعركم أنت مرفوض ومنبوذ في هذه المدينة • تجرجر
أذيال الخيبة في الشوارع وحدك • ما وقع وقع •
جننا في الزمان الخطأ • بعزلتك تلوذ ، وتتشبث • هي
مفروضة عليك • تزودك ببقطة تشعذ حواسك • تتسلسل
مثل قط هزيل لوى ذيله بين ساقيه الخلفيتين ، تحت
وابل من المطر ، ملتصقا بحوائط محرومة ، مثلك ، من
البهجة • ينتابك يأس من عدم القدرة على التألف •
الحبيبة ذات قلب بارد ، قد من ملح البحر ومن صخره •
(رياح ، ومطر منهمر)

في أمسية مطيرة من ديسمبر ، أطفأت المصباح في
الحجرة الكثيبة التي استأجرتها على سطح عمارة خربة •
الغدم يمنحونا اليوم سكننا • ربت على ظهر القط
الأسود الذي تمطى عند باب الغرفة ، وتمسح بساقيك •
وخرجت الى الشوارع • التجوال ضرورة ملحة لوحيد
مثلك •

وضعت يديك فى جيبى سروالك ، ورفعت ياقة
معطفك • تمشى الهوينا حتى يهدأ بالك • تسكنت فى
الأحياء التى ما عدت تعرفها • مضيت تنصت الى وقع
حذائك على بلاط الأرصفة ، التى غسلتها الأمطار ،
وأضحت عند قدميك تبرق مثل نجوم فى السماء تتألق •
وباصرار تسكت صوت العذاب المستبد بروحك •
ألقيت بنفسك الى الدروب التى تغيرت أسماؤها ومعالمها •
رحت تتخبط دون مقصد • ورغم كل المثبطات يتحول
المسير الى عمل ارادى ، فيه عناد وتربص • ومع الوقت
يتناقص اليأس ، وعلى التيه يتحقق الانتصار ، والى
أذنيك يفد مواء القط الأسود •

(خطوات)

تغيرت كثيرا • سرت الدمامة فى أرجائها • واجهات
العمائر تجعدت • سقط من عليها الطلاء ، وتخربت
زخارف النيات والعرائس الأسطورية • نساء شمطاوات
ينحنين عليك من جانبي الطريق ، يمددن اليك أصابعهن
المعروقة ، وقد طالت أطافرها واتسخت •

مثل السمك كنا ، اذا خرجنا من مدينتنا الجميلة
متنا • الأزمان تغيرت • أدارت للبحر ظهرها ، ونكست
الرأس تحملق فى الضحراء ، عليها تجدد فى الربال
قلائد براقه •

كنت تحب الموح الذى ينشد للهب أغنية ، والشرع
الأبيض يعلو ويهبط ، ثم يصيب عند الأفق •

(صوت البحر)

جلست فى الكازينو الخشبى على الرمال المبللة •
رحت ترشف قهوتك ، وترنو الى الأفق • دخل اشعث
الشعر ، ممزق الحذاء • جاس بين المناضد الخاوية •
أخرج من أوراقه المتأكلة الحواف قصاصة صفراء •
تذكرته الآن ، كان فى « الشلالات » يجلس ، ويتظاهر
بأنه يرسم القديسين ، هناك • مد يده ذات الأظافر
الطويلة القدرة نحوك • وتناولك اياها • ظل يتأملك
مليا ثم استدار ، يجر جر خطواته عائدا من حيث أتى •

قرأت القصيدة • كانت عن فتاة نحيفة ليست
بحسنة ، لكن عينيها النجلوين تقولان الكثير •

قبل أن يخرج من باب الكازينو الزجاجى ، استدار
نحوك • تمت شفتاه الباهتتان بالكلمات ، وظل فى
المكان الخاوى يترده صداها •

— حذار • لا تصدق • بعد سنوات ستذكرنى •

تري ، من أين جاء ، والى أين عاد ؟

●
لا تعجب لقصص مثل هذه التي سمعت • هنا
الاغتصاب يحدث • ذلك الهمجي ذو الشعر الأشعث
واللحية التي تستطيل على صدره الأشعر يفعل ذلك
مرارا • وهو في كل مرة يعرف ان الفتاة غير راغبة ،
ورغم ذلك يعمد الى اصراره • هو لا يريد الاغتصاب
حقا ، بل هي فكرة مهووسة تراوده دوما بأنها ترغب
ذلك • وفي كل مرة يعتزل في بيته الذي تحرسه كلاب
الأرمنت • ويقول في كل مرة انني محظوظ ليس لي
زوجة تنفني على مثل هذه الزلات •

●
وضح الآن ، ماذا يجب أن أفعل • لا مفر • عمل
كثير ، وتجاهل أكثر • على الأكتاف بالفد ، نحمل
جميعا • ويلقى بنا في أرض بها حشب •

●
أطلت النظر الى عينيك ، ولم أعرفك • ولا أنت
عرفتني عندما أصغت لصوتي السمع •

●
من أنت ؟ تاجر جوال ؟ سمسار ؟ مخبر سري ؟ بطل
مهزوم هارب من معركة ، وتلتمس مخبأ ؟ أم مجرد شاعر
وأديب أنت ؟ أم ماذا ؟ ما الذي جعلك تفادر قوقعتك
الآمنة ، وتخرج الى التجوال في تيسه الرمال ؟ أهى

انشغالات شبقية ، تستر عصايا ، وتجعل الهدف الذى
تنقاد اليه شيئاً متسلطاً ؟ ولا تلبث الخطوات الأولى التى
كانت تتصف بالبراءة ان تكتسى بالعنف والقسوة ؟

تقلصت أصابعك على العنق ، ورحت تضغط .

قالت ، جاحظة العينين :

— حذار أن تخربوا موميائى ، ففى هذا الجسد ،
سأعود ، وأبعث .

حملت الجثمان المشتهى على كتفيك ، ورحت تجرى
متخبطاً ، باحثاً أين تتوارى .

فى الأكفان توارت الطعنة . وبقع الدماء تجمدت .
ألقيت به . واستلقيت على عشب . ومن فوقكما
يطل عليكما شجر .

استرددت أنفاسك . دققت إليها النظر ، وجدتها
صارت عمود ملح أبيض ، على سرير أخضر ، تحجرت .

(مهمات)

أناس غير مكثرئين بأنك عشت حياتك هنا .
يملاون الأرضفة ، الآن . لا يعنيهـم شىء من أحلامك
الباكرة ، ولا مما دار آنذاك فى خلدك من أفكار .

تقلبُ فيمنْ حولك النظر • لم تجده مرة أخرى •
ذلك الوجه الشاحب والنظرات الخفيفة • ما ضاع
ضاع ، ولا وقت للحسرة على مافات • تومض بارقه
ضوء - أهو من فنار بعيد يرشد السفن ؟ - ولا شيء مما
تتلهف عليه في الليل يبين • كف بحثا اذن عن الميتين
المنطفئتين ، والوجه الحزين • في قاع الميناء يسمى
سفين غارق ، تلو سفين •

النوافذ التي كانت تطل منها الحسان أضحت الآن
مغلقة • لم يبق في الغرف منهن شيء ، ولا من الأب
الجهم الذي كان يركب البحر شهورا ، فاذا عاد أوسع
الأم ضربا بالحزام ، واحتجز البنات - على الأخص
« كريمة » - في البيت ، يحظر عليهن الخروج من عصر
الدار • في كل مرة ، يעדك ، ويقسم قبل السفر ان
يبدأ حياة أفضل • ويزوجك ابنته عندما يعود • يفتح
ذراعيه للسماء تأكيدا لما انتواه • لكنه ما كان بقادر ان
يفي بوعدده ، ولا صارت « كريمة » لك • كان على
الدوام يقول « كيف تتحمل الصنخور هذا العبء الثقيل ،
وقد تجمعت الأسماك الحديدية حولها ؟ » •

مررت بها • لم تعبرك التفاتا • هل عرفتك ،
وتجاهلتك ؟ أم انها مشغولة البال بالآخر ، وما عادت
تذكرك ؟ خمسة عشر عاما ، انقضت ، ومن على الصنخور
كثير من النقوش انمحت •

مريب أمرها • هذا كان على الدوام شأنها • كانت تتقن مكياج البراعة • كيف فى هذا الحشد ، ستلحق بها ، وتتأكد من نواياها ؟ الأفضل أن تتوارى ، فهذه الأفعى لا يؤمن شرها • ومادامت لم تلتفت اليك ، فهى تضمرك الأذى ، ولا محالة • ستدور حولك ، ومن الخلف ، ستلدغك • حتى فى الأحلام تأتى اليك عدوانية مهددة • هل أحضرتها الى هنا ، معك ؟ لا أحد يعرف انك جئت الى هذه المدينة ، تنبش بين أطلالها عن تعويذة ، عن طلسم انت غير قادر على فض غوامضه • وما دمت قد جئت الى هذه المدينة التى أدور بين أسوارها باحثا عن خلاصى ، فلأَمْض فى أعقابها •



رحت مدفوعا بحتمية قدرية غير مفصّح عنها ، تدور داخل ديكور تغير كثيرا عن الأربعينات • مع حولك الميدان تداعت أبنيته ، وأضحت تعاني من النشع ، واضطراب المستوى • والساعة التى تتوسط الصينية توقفت عقاربها منذ أمد ، ثم يقودك طوافك فى النهاية — أكان ذلك قدريا بدوره ؟ — الى امرأة مصقولة فى مواجهة أحد المتاجر الكبيرة بشارع الاسكندرانى ، لتجد أمامك ، انت يا من بدأت مسيرتك باحثا محققا — تجد القاتل • وجهك الشاحب وعينيك الحزيتان منطبعتان أمامك فى المرأة • ينظر القاتل اليك ، وتنظر اليه •

لا تقل ان الأمر كان وهما فى ناظريك وكذبا • ذلك
الذى فى المرأة يعرفك ، مهما ادعيت انك لا تعرفه • امتلا
المكان بالهمسات ، والعيون المحملقة ، والأصابع
المشيرة اليك • من أين أتى كل هؤلاء الموتى؟ انه سيعاود
ارتكاب جريمته • سيبدأ بأن يقتل ثم يموت من جديد •



جاثية عند قدمي ، ترينى بين راحتىها السمر اوين
نهديها النحيلين اللذين طالما اشتھيتهما • وتستعطفنى
بابنى الذى أضعته من لبنها •

تراجعت • استدرت • وأطلقت لساقيك العنان •
(موسيقى هائجة ، مندفعة كريح لا تلبث أن تهمد)



مصادفة التقى بك • أخذك بين ذراعيه ، وقال لى
العزاء • تعال •

صعدتما السلم فى البيت المهجور • الدرجات
الخشبية تثق تحت وقع قدميكما •

فتح الباب • ثم أغلقه • صرتما وحدكما • لم
تتبين معالم المكان فى العتمة ، ولكن بأعماقك كنت تبصر
كل شيء •

أضاء ضوءا خافتا ، ضوء شمعة • قال : الأفضل أن
نبقى النخاص مغلقة • من يدري أى عدوان جديد من
ناحية البحر قد يفد إلينا •

ركع على الأرض • أدار الحاكي القديم • « سوناتا
ضوء القمر » أصوات خفية حبيبة ، أصوات من قصائد
حياتنا الأولى • وجه باسم • اثنان على دراجة • أولاد
يمرحون • يطاردون الضفادع • آكنت واحدا من هؤلاء
الأولاد ؟

— كل عيشا ، واسكت •

أشعر أحيانا اننى على وشك أن أكتشف أشياء • ثم
فجأة يظلم الوجود من حولى •
— انت واهم ، كشأنك دائما •

قبلت السكين ، وطوحت به الى البحر •

ثم جاءت ريح كورساكوف عدوانية ، محطمة •
أتشبث بقطة من الخشب • تلممنى الأمواج ، وتدفعنى •
وعند الفجر أصبحو على رمال جزيرة لا أعرفها •

— استيقظ ، يا سندباد • بعد قليل سيأتى صاحب
البيت ، وقد يضبطنا متلبسين ، نعبث بأشياءه •

أطفأ الشمعة • والى الباب اقتادنى • وعند أسفل

العمارة الخربة ، فى الظلام ، تركنى • وددت فحسب
أن أسالك أين أختك ؟

من الأطلال المحوطة ، جاءتنى الاجابة •
ما أشهى الدم المسفوح من قلب خائنة •

لا تتوقف عند أسواق المنشية • فلن تحصل من
هناك على بضائع جيدة • المعروضات كلها من خيوط
العنكبوت منسوجة •

هل كنت بريئاً حقاً ؟ وما معنى البراءة فى هذا
التيه الذى اختلطت فيه سراديب البراءة بسراديب
القسوة والضاوة ؟ يجرى فيها الأغتصاب كل يوم ،
وتنتهك الأعراض والكرامة كل ليلة ، تحت أضواء
الثريات والزينات المعلقة على الأبواب ، وفى الشوارع
ذات الألوان الفجة •

ثم فجأة على الشيطان الساجية تنسى ظلمات القاع ،
وعنف الموجة •

أسير عبر حديقة الشلالات على الأرض المكسوة
بالمعشب ، الذى تنثر عليه أزواج العشاق مثل فراشات
متخممة • أخذ يطن حول رأسى المبللة بالعرق سرب من

الذباب • أصده عني بحركات هوجاء متخبطة. شرسة
تشبه حركات من يقوض في اليم محاولاً أن يبعد عنه
ما علق بجسمه من طحالب •

عند كل ركن من أركان الشوارع تتجمع المدينة •
وتحتشد ، وتعاود لغزها من جديد •

اصرارك وحده هو الذى يدعوك أن تمضى
مجتازاً هذه المتاهة ، بكل المنعطفات والطرق الضيقة
الشعبانية •

ألم تدرك بعد أن المدينة لفظتك منذ زمن بعيد ؟
(خطوات)

ودعها • ودعها • إنها فى البحر قفوص • ومن
أمامك تمنحى • صفيح بعيد يتعالى من سفين على أهبة
الرحيل • وفى أعماق الذكرى تستقر حطاما •

لا شيء فى قرارة عقلى • ولا حتى ذكرى المدينة
التي كانت لى ذات يوم ، لى أنا وحدى • أو هكذا
أوهمتنى •

كف عن البكاء ، فالعشاق الموتى يتكاثرون ، وهي
ولا حتى عليك تبكى . ماذا كنت تتوقع ؟ أن تمنحك
الاسكندرية سكينه وعزام ؟ لقد منحتك قلقا وتحفزا
وروح المبادرة . وليس لديها أن تعطيك أكثر من ذلك .

هيا ، قل لى . هل تفضل القطار من سيدى جابر ،
أم من محطة الرمل السهم الذهبى ؟
(موسيقى شجنية)

وارحل من هنا بأسرع ما تستطيع . ولا تعد .
احتفظ بالصورة القديمة فى خاطرك ، طيبة على الدوام .
ولابد أنك أدركت الآن ، ان كل ما كان لم يكن سوى
لوعة دفينه ، خيالات ، وصبوات وهمية .

نجم يرتعالى صغير ، يلمع فى الليل من بعيد ،
ويضىء .

ها هى اذن النبوءة التى جئت تسمعها .
هذه ليست مدينتك . مدينتك هناك ، فى الذكريات
تفوص معك .

أما هذه فلن تكون أبدا ، أبدا ، لك .
الآن ، أريد شيئا واحدا . ان اترك وشأنى .
(بتوسل) أن أخلد الى نفسى .
(صغير قطار يبتعد)

زهرة فى اناء

انه هناك • تقيمه امرأته وتجلسه • تطعمه •
تغسله • وتضعه فى الفراش كى ينسام ، ان تركت له
أوجاعه لحظة كى يففو • أما هى ، فعجبا ، متى كانت
تنام ، وتصحو ؟ بعينها الواسعتين اللتين لا تطرفان ،
كانت لا تنام • الجميع يحسدونه على هذه المرأة ذات
القامة النحيلة ، والثديين مثل ليمونتين ، رغم انها
أنجبت ابنا ، ابنا وحيدا بقيصرية ، أصبح الآن
دبلوماسيا •

الشعر الكستنائى وخطه المشيب ، ولكن فى اتساق
لم يفسد منظره على الجبين الذى يعلوه ، مثل تاج موحد
القطرين •

والجيد أبيض سامق •

كلا ، انك لا تضايقنا •

هو على الدوام هنا • لست بحاجة مرة أخرى ، اذا
جئت أن نخطرنا تليفونيا • ستجده على الدوام
بانتظارك هنا •

أريد بدورى قدحا من القهوة •

ورحنا نفمس فى القدحين قطع البسكويت انذى
صنمته ربة البيت المدبرة بيديها ، ونفتت فيه من روحها •
الآكل نفس • أجل ، هذا حق • هو نفس •

يسمعل ، ونتحدث • عن « البوهيمية النائمة »
تحدثنا طويلا وعن الأسد الذى يتشممها • نظرت صاحبه
الجيد السامق الى متشككة ، وهى تستمع الى حكايتها ،
وما كانت تتصور أن الانسان اذا ما تجرد من الأهواء
والأطماع والنزوات ، بل ومن الآمال أيضا ، أضحي حرا
لا يخشى شيئا • يفترش الأرض ، وينام ملء جفنيه
وقد ألقى من على كاهليه بحمله • هى لا تنام ، وجفونها
المحترقة لا تطرف •

سمعل الرجل ، وسمعل • استأذنت المرأة ، وقادته من
ذراعه الأخرى غير المشلولة الى مخدعه •

باكر ، سأخذ زهرا ، أذهب أنشره على سريرها •
لم أنبس بكلمة • وبداخلى قلت انها ما كانت تعرف ،
ولا تريد منك زهرا •

ماذا بقى من الوجه ؟ غارت الوجنتان ، تصخر
العجين • ارتسمت التجاعيد بالطول وبالعرض ،
واستطالت الذقن مدببة الى أسفل ، مثل سكين • أضحت
الحدقتان واسمتين ، تتجاوبان مع انفراجة الفم فى

شبه ابتسامة حسية شوهام • ولا أسنان • تجويف مظلم -
أهذا هو الوجه ؟

أدركت الأمر كله الآن • عرفت • أريدك أن ترحل
حالا • لا أريد رؤياك • حيثما شئت • لا يعنيني من
الأمر شيئا ، بعد الآن •

على كتفيها بلوفر أزرق • تقف أمامي • قالت
عانقني • قلت اني أرحل • قالت تعرف كم أحبك
قلت اني أرحل • قالت معي مفتاح • دست يدها بين
نهديهما • أظن انه هنا • سقط من بين أصابعها •
انحنت • ها هو • الحت • افتح ، سوف نقضى الليلة
هنا ، الليلة فحسب ، ثم ترحل • الى حيث شئت ، ارحل •
لا أحد هنا • أنا وانت فحسب •

اختلفت من النافذة النظرات الى بعيد • شبح برداء
أبيض يهيم في الأرجاء • المصباح مضاء • هل أجلس ؟
ألا يمكنك أن تكون سعيدا هنا ؟ معي ؟ بإمكانى
أن أتغير • أستطيع أن أكون ما تريد • ساعدنى •
ما عدت أعرف • دموعى بداخلى تحرق •
كل شيء يمضى • يتضام • انزل الدرجات •

املا العينين بشبحها الذى يبتعد • طيفها النورانى
يذوى • زهرتها فى الاناء الفخارى تذبل • كبرياء

جرححت • دموع تذرف • كلب ينبج • أمطار تهطل •
أصعد الدرجات • أجرى الى الداخل •

ماذا بك ؟ لا شيء • الأفضل أن أشعل بعض الضوء
وقع الضوء على وجهها • ان لك وجهها وسيما • ابتسمت •
أدارت ظهرها • تسأله من الذى أعطاه الحق ، من الذى
أدخل فى عقله انها الى هذا الحد سهلة • لماذا لا تفضين
الشريط عن شعرك ؟ انت أيضا ، لا تلمسنى • أردت
أن اتحدث اليك • لست الآن على استعداد للحديث •
الربيع هذا العام ، قد يتأخر • عم تريد أن نتحدث
رغبت أن أعرف أشياء • سيمتد بنا الوقت ، ولا أريد
أن أحتجزك طويلا • ولكن ، كلا • لا تكمل • اخرج •

انفتحت الكوة ، لم يبد فى الأغوار سوى فراغ
الضوء •

نزلت الدرجات • اجتزت الغرفة تلو الغرفة •
باب صدى يفتح على غرفة علا موجوداتها التراب •
الطيور على غطاء الأريكة ، لازالت هناك • تبرز رؤوسها
البيضاء من تحت الرماد ، ولا تصدر أصوات • عطر
يضوع كموسيقى خفيفة من أوتار كمان • ربما كان
الربيع قد عاد • مديك • لن تلمس أناملك شيئا •
و « البوهيمية النائمة » لازالت الى الجدار مسندة ،
بجوار الباب • الباب ذو المقبض النحاسى الصدى •
يفتح • يثن الصرير فى الأرجاء شاكيا فرحا • يئن

الصرير برهة ، تمتد في أذنيك دهرا • ثمة مسافة على
الدوام • ولا يلبث الصرير أن يبتلع صمت الأشياء
أغلب الأبواب خداعة ، تلقى بك الى دهاليز تلقى فيها
الخراب • النوم يطبق على الأجفان • الأخضر الرمادي
يمتد • الخدر يسرى في الأوصال ، وبين اغفاءة ويقظة
تعانق العين ندف الألوان • تنفخ فيها ريح خفيفة •
تعلو قليلا • تختلط وتخبط • تتراقص متهادية الى
ذاكرة مشخنة بخربشات بيضاء •

رأس صبية

الأفضل أن تكون قد رحلت الآن ، لن تتعذب الصغيره كثيرا • لن ترهق نفسها كي تنساك ، فلا زالت ذاكرتها رخوة ، تنلمس من عليها المعالم والذكريات سريعا • ثم تستوى المخيلة ماضية الى مستقبل الأيام ، أما اذا حدث الفراق فيما بعد ، فربما بكى بحرقه اذ تفقدك ، وربما تغشتها سحائب حزن قواثم ، لو حدث أن خطرت ببالها ، فتذكرت ما كنت تتدللها به ، وتجلب الفرحة الى قلبها الصغير الذى كان ينبض مثل خفقات عصفور متى شددت عليها حضنك فى عناق حب ، وأمطرتها بالقبلات فى عنقها وبطنها وفخذيها وشعرها ، والضحكة تنطلق من شفتيها، من وراء السننتين النابتتين فى اللثة الوردية، حديثا • أراك تفكر وتغتم • ليس هنا محل للتفكير والاعتماد • انى ألفت نظرك فحسب ، والأفضل لك أن تنضم الينا ، وتعيّر الأمور كلها عندم الاكتراث الذى نوليها نحن • دعك من أفاعيل الحداثة هذه • فما عدت

مستجدا بيننا •



سوف تشير باصبعها الذى فى حجم دودة الى ابيب
الذى كنت تدخل منه وتقول « بابا » او تميل على ذراع
من يحملها ، وتطل من الشباك الذى كانت تراك فى
الطريق مقبلا منه • ثم رويدا رويدا ، وسريعا
سريعا ، لن يبقى منطبعها منك فى ذاكرتها شئ •
وستمضى الحياة بدونك ، كما لو لم تكن قد وجدت
أصلا ، بل ستألف زوج أمها الجديد وتناديه كما
كانت تناديك بابا ، ولعلها أحبتّه وتعلقت به أكثر
منك ، فقد كنت شخصا دائب الصياح فيمن حولك ،
مستفزا على الدوام بطقوس الحماسة التى تؤدى فى
محراب كل يوم • لا تتنهّد • ولا تدع دمة تطفر من
عينيك • لا تكن رقيقا هشا ، فما هكذا تريدك الحياة •
ولا تستحق منك ذلك وددت - على ما سمعت - أن تكون
خالدا ، ولكن حتى الخلود بحاجة الى التجدد ، وهى
- الحياة أعنى - لهذا تعرف تغيير الجلد ، ونفض
الأوراق عن الأغصان ، وكل طقوس الفناء من أجل
المود الأبدى •



هى وحدها كانت تعرف • قالت من بعدى ستتعجب
كثيرا • كانت تعرف مبلغ حماقتى ، وقلة حيلتى • هل
كانت حقا بالغيب تدري ؟ فى هذه الخصوصية أجل ؛

بالخبرة تستطيع أن تعرف .

تزحف فوق السيقان النائمة . تتلمس اللحم البدن
الدافئ ، تمتص منه الدم ٩
فى سكون تزحف . تمضى الى ظلمة الليل خارجة .

كل الغرف تفتح على بعضها . القط العجوز يجتاز
المعتبات الى الشرفة . يقفز على افريزها . وينظر الى
بعيد بعينين لا تريان النيل الممتد عرضا ، ومن بعده
تلال ، وربما شذرات من صحراء . تذكر وجع مفاصلك
المزمن . تقول لنفسك كل شئ بحاجة الى تزييت . دعك
من تهكميتك الآن . لا تقلب النظر الآن فى كل ماحولك .
فكل ما من حولك — صدقنى — خواء . لا تنشغل
بتفاصيل الزهر المرسوم على البساط . توافق فحسب
مع بصيص الضوء المتسلل من خصائص النافذة دون
أن يترك بصمات . يقع على الأرض . يزحف نحوك ،
دون أن يترك على الأرض المتربة آثار أقدام . يتلفظ
حوله . يستطيع . يستقصى . هل يبحث عنك ؟ تسأل
نفسك من أين يفد هذا الضوء ؟ من الروضة ؟ من
النيب ؟ من المعادى ؟ أم تراه من مصر القديمة جام ؟
لا تسأل . تثبت به فحسب . لم يعد للأسئلة اجابات .
ولا لأى ملم صولة هنا أو حيثيات . اقنع بما منحت .
لقد وجدت لنظرتك المرتعشة مرساة . ها هو الضوء

هناك ، ذرات مع جرانيت وردى • يمضى مبتعدا ،
زاحفا على الجدران ، وعلى الأرض ، وعلى البساط • انه
ابتعد الآن كثيرا • فهل ستلحق به ؟ امتدت الظلال
الآن •



لازالت هنا • كانت هنا • تنضج فى ابتدال
بالحب السامى • ومن مقلتها تفجرت ينابيع الحنان
الباردة •



أحببت تمثالا • أردت الى الصحراء أن أهرب به •
عندما اختليت به تقززت كثيرا • اكتشفت انه مقطوع
الساقين ، منفر الرائحة • وفى النهاية ، لو كانت
المومياء وفية ، لما مضيت أتمرغ عند قدميها ، وقد تكسر
قلبي ، متوسلا أن تبقى •
ترتاد البوادي الآن ، والهضاب الحجرية ، شاحبة ،
متهرئة المظهر ، مثل التماثيل ، مليئة بالحيوية •



ما هذا الذى تدحرج قريبا منا ؟ رأس الصبية •
أيض ذهبت ، الآن ؟ لا جدوى من البحث عنها • ذهبت الى
حيث ذهبت سائر الرؤوس التى انفصلت عن الرقاب
من قبل •



استيقظ ، أقول لك - لا تجعلنى آجار بالصياح
مثل الاحياء • لا حاجة بك هنا الى تعايط الأقراص •
لا تجعلنى أرحل وأتركك •

الفراشة

(ضوء نهاري باهر)

اليوم رأيت نفسي • كنت أمثل دورا • كنت سمجا ،
محبوبا ، أتقصع ، وألقى نكاتا تضحك - تصور تضحك -
سمعت نفسي أنكنت • بكيت • ما الذى كان يجعلنى على
مثل هذا السخف المرغوب أقدم ؟ حياتك هذه ، هل
تريدها ؟ تريد أن تعود من جديد تمثلها ؟ كلا ، كلا ،
لا أريدها • لا أريدها • ذاك السعار بداخلى ، انطفأ ،
وما عدت أريدها • شفيت من ادمانها • شفيت •

(موسيقى جاز تملو وتخفت)

يفتح كتالوجا ، يقرأ فيه بامعان ، يمد أنامله •
يدير أزرارا ، ويثبت أسلاكاً • ترتفع من الصندوق
الاسود أصوات متقطعة وخربشات • تنخفض • يتدفق
سيل من الموسيقى العذبة ، لا يلبث أن يتقطع ثم يندثر •
يعاود النظر الى الكتالوج • تدير أنامله أزرارا • وأنا
ألزم مكاني • عزلتى ألوذ بها دوما • لا يفرينى شيء أن

أفهم هذه الأجهزة الحديثة ، ولا أن أتعامل معها - سموني بالرجعى ، بالسلبى ، بالبليد اللامتمى ، وغير ذلك من التسميات ، لكنى ما كنت بشيء من هذا القبيل أكثر .
(تبتعد الموسيقى)

ألهذا أعرضوا عني ؟ وتركوني أغوص فى حماتى ؟
(تنهيدة)

أحيانا ، أقص على أولادى حادثة وقعت لى . فإذا سألونى متى حدث ذلك ، يا بابا ؟ أفاجأ بأننى انما أتحدث عن أمور حدثت منذ سنين عديدة مضت ، بينما أكون تحت تأثير أنها بالأمس القريب فحسب قد وقعت .
(يخفت الضوء ويهدأ) .
(صوت ينفذ من بعيد - جهما)

منذ أمد بعيد ، لم تعد سوى جسد منهك ، ممرض تجرجه بصعوبة لاهثا ، عبر رحلة معاناة تتوق فيها أن تحقق حياة أفضل ، وأنت تعرف مبلغ استحالة ذلك بالنسبة لك ، فصرت تخدع نفسك بأمل كاذب . كنت على الدوام تواجه ماضيك ، ولا تقوى على الهرب منه ، الى أن مات الجسد المسكين بعد لآئى ، وغاب فى الوحل كل ماض وحاضر ومستقبل .
أنا الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .
(برهة صمت)

فى هذا المكان الذى حلت به تروح ، وتغدو ، باحثا
عن بوابات الرمال . تعتقد أنه ليس خاتمة المطاف ،
وبالقطع ليس هو كذلك . فى هذه الغرفة الكبيرة ، التى
ليس لها سقف ولا نواطط ، تتخبط باحثا عن البوابات ،
ولكن فى هذا المكان الذى يبدو لك أن أيامك فيه ثقال
زخمة ، لا توجد أبواب أو منافذ ، وكيف توجد وليس
ثمة جدران ولا أسوار ؟ أو ربما هناك جدران وأسوار ،
ولست بقادر أن تعثر عليها . فى هذا المكان الذى تقضى
فيه أيامك ولياليك البواقى ، تتخبط وتلهث ، وتتوتر ،
وتحس بالاحباط فى النهاية .

(يضحى الصوت معزيا)

كنت على الدوام مفعما بالاشمئزاز والندم ، تحاول
أن تكسر واقع حياة مؤلم بلمسة الشاعر الذى تمنيت
أن تكونه فى صباك ، وتقول لكل من حولك ، وهم
يلحظون رجفة يدك ، وعدم قدرتك على امساك القلم
والكتابة — تقول « اذا سماؤك يوما تحجبت بالغيوم ،
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم »

(موسيقى متفائلة شجية)

على الدوام تفكير بالتمنى .

(ضوء مصباح يجول فى العتمة . ثم يستقر الضوء
على ما يمكن أن يوحى بأنه منضدة للكتابة) .
قلم وورقة . لا براء من ادمانى . الكلمات تنهشنى

أريد أن أحيل دموعي كلمات ، دمي كلمات ، زفراتي ،
صياحي ، ألى ، زعري ، احباطي ، قلقي كلمات *
كلمات ، كلمات ، أنثرها حولي * أنام عليها * مثل فقير
هندي * لا شفاء من ألى * أحمله معي ، أينما ذهبت ،
حتى هنا جلبته * عنه لا أستغنى ، ومن غيره لا يكون
حتى لعدم وجودي معنى * هل من يسمعي ؟ وددت
ألا يكون هناك أحد *

تتردد كلماتي في هذا الغلام ، وسرعان ما تتبدد ،
مثلما تبددت حيوات وحيوات من قبل *
(يضحي الضوء حانيا ملونا - والصوت يصبح
قريبا)

لا أريد سوى المسألة * في هدوم ، أريد أن يمضي
ما بقي من أيام حتى تثقب الشرنقة ، وتخرج الفراشة *
تفتح جناحيها وتطير ، تحط على راحة يدي * أقربها من
أرنبة أنفي ، كي أؤمن فيها النظر ، وأتعرف عليها *
من هي ؟

(موسيقى الجاز تصطبغ برهة * ثم تسكت)
سوف أرفعها على أصبمى عاليا ، وأقول لها طيري ،
طيري بعيدا * اجتازي المحيط ، واذهبي الى رببكا *
انها بانتظارك *

(صوت طائر ينطلق من الأسر فرحا * ويعود
الضوء فيصبح نهاريا باهرا ، على خلفية من سماء ناصعة
الزرقة) *

سماوات خفيضة

مهما كان الأمر ، تأمل جماليات المكان • جماليات ضاربة بكر مشعة ، مثل تلك التي كنت تستمتع بها في أيامك القديمة ، عندما كنت تستيقظ في الفجر ، وتتأهب في الشرفة لاستقبال هيلوس يجيء من ناحية الملاحه يرقى عتبات السلم اللازوردي • يخضب بالألوان الوردية ما يصادفه في طريقه من حوريات السحب ، ويصيحخ السمع الى هدير البحر أو نشيش الموج الوالد من حيث قبر الميت الأكبر ، الذي طارد بسيفه جحافل الظلام الفارسية ، جالبا معه من معبد آمون سنابل القمح الشقراء ينثرها من حوله أينما حل ، ويسقط منها إليك في الشرفة زاد يومك • ثم على صهوة جواده الأشهب يمضى صاعدا متبديدا من أمامك في غلالة من الضباب الأثيري • ويخلفك لهموم يومك • فتترك على مكتبك « الملاح الثائه » و « الكنز الذهبي » • وتركب القططار لتسأل عن أوراقك ، وتعود في المساء لتكون « سين » بالشرفة في استقبالك •

هنا ، في حضن الجبل ، المناق قاس ، فلا تزد من احساسك بقسوته • دع نفسك مثل شجرة الحقل الحكيمة ،

ينحنى جذعها وتنثنى أغصانها عندما تهب الريح ، والا
تكسرت . تلك تجربة لن تستطيع أن تضع لها نهاية ،
ولن تعود اليها . دعك إذن من ذلك الحنين القاتل . انزعه
من احشائك ، وأعلم أن الزمان ، لا يعود . بالليل ، فى
أعماق نومك ، سينهمر ذاك الزمان كثباناً وآتربة ، وعلى
هيئة شتى التماثيل أمام ناظريك سيتشكل .

●
مهلك . مهلك ، ألم أقل لك أن هذا المكان سيوف
يتبدل ، ويتشكل ؟ أنظر . من تلك التى تنزل بالليالى
من قمة الجبل ، فى ثوبها قاتم السواد ؟ يومىء شبحها الى
ماحولها ويترنم . شفتاها ، الا ترى فى الظلمه ، كيف
يلمعان بكل ما فى شمس الزمان من ضياء ؟ وجدانك
شعرها الاشقر المنسكب على صدرها تضيء مثلما الذهب
الاصفر ، وفى محجريها الخاويين ما فى اعماق البحر من
ظلمة هراقة ؟ لاتسالنى ، من تلك التى تنزل من قمة
الجبل فى ثوبها ناصع البياض . هنا كل شيء يتبدل ،
وينشكل ، تحت مظهره السكونى الخادع . تأكد من
ذلك . راقب ، وتحقق بنفسك . هنا ، فقط أمسك
لسانك . الأفضل الا ننطق بحرف واحد . وبعد ذلك
تابع ما يحدث من حولك ، وشارك ان شئت ، وسوف
تستمتع . فقط أطرد عن نفسك الاحساس بالغربة ،
وأنتم الينا .

اسمع ! اسمع ! ها هي التحولات قد بدأت • الأستار
رفعت • انظر الآن الأنجم في السماء كيف لمعت
وأضأت • انها ولا شك ، قادمة •

استمتع • راقب الشتاء يقاوم الصيف ،
فينشأ من صراعهما ربيع حلو ، لا هو بقارس البرد مثل
الشتاء المجوز ، ولا هو ملتهب النسمات مثل الصيف
القادم في اندفاع • ثم تأمل بعد ذلك كيف يتسلل الشتاء
غازيا الصيف فينشأ من صدامهما خريف ، ثم شتاء ثم
ربيع ثم صيف وخريف من جديد •

راقب وتأمل • هذه هي المتع الحقيقية التي كنت
محروما منها • راقب الليل يبسط عباته على المسكونة ،
وينثر أزاهيره الماسية في حجر السماء ، ثم راقب حمرة
الشفق ، عندما تعود الشمس في مركبتها الوضيئة من
رحلتها الأبدية في العالم السفلي • راقب وراقب ما لم
يكن متاح لك مشاهدته في الصالونات وغرف النوم
وقاعات المحاضرات والمكاتب •

انظر الألوان المشعة على الشفاة والجفون المنطفئة •
ثم دعك من هذا كله • دعك من الفناء ، وراقب المقاييس
والنسب ، والفضاء ، وما وراء الكل • هذه النسب
المثلى اخفقتنا في اكتشافها من قبل في جسم الانسان

والحيوان ، والنبات ، واهياء الماء ، والبحيرة المقدسة
 بالكرك * سرننا فى طريق الكباش ، وتمترنا * وسن
 كنا لم نكتشف « القطاع الذهبى » فى سالف ايامنا ،
 فقد اكتشفنا الان ما هو اهم وأبقى *
 ويالها من مكافأة وتمويض لنا * اكتشفنا « قانون
 الثراب » * كثيرون كانوا يسخرون منا * ولكن هذه
 الثروة الروحانية والهندسية * انى لهم بها * اشكال
 عملاقة متحركة كالأمواج الطنانة ، تشع فى دوائرها
 الذهبية * * مثلثات ومربعات فى نظام غنائى خفى داخل
 بناء ملتحم سليم * اتسمع « اللحن الموفق » اذن ؟ هو
 فى كل ما حولنا * هو قانون للحياة وللمادة ، لمسرات
 تلتقى الواحدة بالأخرى ، زاهية وقائمة ملتحمه *
 ما الذى جاء بذلك الغامض - أبو نوفر - الى المعبد ؟
 ما الذى يبحث عنه فيما هو مكتوب على أعمدته ؟ لماذا
 لم يأت الينا يسألنا ، ولسوف كنا نجيبه بما لن تجيبه
 الأعمدة ، ونطلعه بما فى جوف الكون ذاته ؟ وهج يخبو ،
 وينطفئ ، ثم يعود الى الاشتعال والتأجج * ليس للانسان
 حدود * وما من انسان أدرك الكمال * لعلك الآن أكثر
 ادراكا للنسق الايقاعى لديارنا هذه * لكل منا ظلامه
 الخاص * انت مثلا ظلام فى الظهيرة ، وربما أفضلنا
 هنا غسق ممتد ، أو ضحى *



عالم من الحجارة الرمادية والبنية * الأطلال

الدكناء تنتظم فى الساحة بهندسية خفية • تطل عليك ،
ثم لا تلبث ان تبادر الى الاختفاء • هى قصيدة تمزقت
أجزاءها وتبدد منها البعض ، ولكن لازالت القصيدة
هناك • اضاءة خافتة ، وفراغات • أكاد أجزم بذلك ،
هناك عملية مدبرة لتحقيق التوازن بين الحركة
والسكون ، ورغم التخلي عن كل شيء ، يبقى الكثير •

لا تفزع من الفراغ ، وعلى أى حال فكل شبر هنا
ملىء ، ولكن ليس بالزخارف • الحيز ممتلىء ، الى حد
الزخم ، وانت محاصر • هربت من حصار ، أيها المملوك
الشارد ، الى حصار أشد وطأة •



هنا التماثيل فى حالة من الطمأنينة والتسليم
ولا يسهل عليك التمييز فى قسماتها المتأكلة ، وتحت
جفونها المطبقة ، بين الخشوع والجزع • أنظر ، ستجد
هنا الحقيقة واضحة • الرسام رسم ، وقضى الأمر •
وصاحب الرسم انمحي ، واندثر ، وبقيت تصاوير
النبات والحيوان والشجر ، والنجوم والأنهار والقمر •
نقاط وخطوط ودوائر ، كالحشرات تسعى ، وتزحف
من حولك •

ستعثر فيما حولك على بعض الاقراط والقلائد •
وستقضى وقتا طيبا فى التنقيب بحثا عنها واقتنائها •
هذه طريقتنا هنا لقتل الوقت ، فليس مسموحا لنا لعب

الكرة ، ونمل مؤكدا لعب الشطرنج والسيجة ، أما
الثرثرة فهي ايضا ليست ممكنة ، لسانك منطقة الكذب ،
لهذا فهو اول ما اتمحى .

يطلبون منا اتقان الحيل ، والتمكن من الأساليب ،
وضبط النسب ، لا سيما حيث يقع النور على الماء .
غض بصرك متجاوزا المحيط المصطنع . حاول أن
تنجو من زخم واقعك ، فتصل الى شطآن الخيال
والهوى .

على هذا الارتفاع الشاهق لا يمكن أن يصعد الى
عصفور . هنا لا أرى سوى أثر ، وسماوات ، وأشعة
شمس تنزل من وراء السحب ، كما كانت تنزل في
القديم الغابر ، فتغسل بضياؤها الاهرامات ، وظلمه
تجثم على الكيان مثل عسل اسود في طبق غويط . وددت
أن أستمع الى شقشقة عصفور ، أو رفرفة جناحين ، أو
دقة متقار على زجاج نافذة أو وقع مخالف صغيرة - أقول
صغيرة - على بلاط فناء . وددت أن أجد دفقا انسانيا
نابعا من مثل هذه الأشياء الصغيرة الحبيبة الأليفة .
ما عدت أرتاح الى عصف الريح في حضن الجبل ، يسف
التراب ، وينقل ذرات الرمال . يضرب بها وجه الغلام
فيمتلىء كياني بالصفير والضحكات الملتاثة والعويل .
سئمت معنويات ومثاليات . شبت ريحا أجوف .

الذهب على الاطلال تلالاً ، والدانتيل على الاديم
زهت • بعد قليل سينبسط الابانوس • النمل يشيع
جنازاً • من عمر مكرم تحرك ، يحمل نعشاً •



تأمل فيما حولك • تأمل واغرق ، حتى تتخفف من
الشحوم والدهون ، ويصحو فيك من الحس والضـمير
ما تبلد • ستصفو أذنالك ، وتضحيان للسمع — ومن له
أذنان للسمع سيسمع — ويتسع محجراك ، وينظران
بعيدا الى أغوار الأغوار • سوف تقول يوما هذه كانت
أفضل أيامي • ليثها ما انقضت ، أوليتها عادت •

بوابات الرمال

سنوات وسنوات ، لم يكن مسموحا أن أزيح
القناع • أتحدث الى الوجه دون أن أعرف القسمات •
أصفي الى الصوت ولا أرى الشفاة التي تنبس ردا على
بالكلمات • حوار من وراء قناع ، أنا نفسي لبست القناع
وهكذا قناع يتحدث الى قناع • قناع يقبل قناع • أقنعة
كلنا في كرنفال •

أحببتك • فليكن • لكن أحببتك فعل ماض ،
وصيفة المضارع لا توجد • كل عاطفة شعت ، وكل بشر
نضبت • أتريدن أن تعرفي من أنت ؟ أنظري الى
الشرفة وفي أركان البيت ، حيث نثرت اصص الزرع •
كل الأغصان جفت ، وتساقطت أوراقها ، وظلت في
الظل ، عيدان عجفاء ، تبعث في النفس الكآبة •

تولول شاكية :

— دائما ، دائما ، مظلومة •
— استأذة في الافتراس ، ولكن ليس الى حد الشبع •
— أنا على الدوام مريضة • أعاني بسببك الأرق •

تجلبب النعس والنكد لمن حولها ، فاذا حدثت الكوارث تلقى أعباءها على غيرها ، وتندب حظها العاثر ، وأنها لم تحصل على ما حصلت عليه زميلات أخريات كن أقل جمالا منها •

— ليتك تحبني كما أحبك •

نظرت اليها مستوضعا :

— أن تشعر بوجودي •

مضيت أنظر اليها • أردفت قائلة :

— دون أن أنبس بكلمة •

هي عقاب لمن اقترف ذنبا ، بل ولن لم يقترف •
هي تجربة عذاب من أجل خلاص لا يبدو قريبا على أي حال ، ولا حتى أتيا •

ولولت :

— أتلومني لأنني أغار عليك ؟ أنا مجنونة !

●
ماض صعب التحديد وغير مؤكد ، يربط بيني وبينك • كل شيء بين اللا والنعم ، على حافة الندم يتأرجح • صوت داخلي مبهم يجزم بأن ذلك الماضى مؤكد •

أعيش مع دمية من الرخام باردة • عزتها الرياح ، وكانت في الأعماق مظلومة • خصلة شعر ، أصابع

نحيلة ، شفتان وابتسامة ، وعينان - على الأخص
عينان - واسعتان ، شاخصتان على الدوام * وعلى
الخددين لؤلؤة *
لؤلؤة *

أتحسس بقايا حبيبتي * أستشعر دفئا * جسدها
المستهي خيال ، نبع ألى * حبها لا يعرفه من قبل غيرى *

الريح تجوس خارجة داخله من بوابات الرمال
أمامي * فى مكان ما قصى ، عند شاطئ المعجمى ، فى
مواجهة سماء لازوردية ، سحابة مثل حجر كبير من أحجار
الخفاف ترترف فوقنا *

لا جدوى للشكوى من أمور حدثت أو أزمان
انقضت * فلنبق اذن فى الحاضر، الفالت من أصابعنا ،
مثلما حبات الرمل الناعم ، وان كان هو كل ما لنا *

- هل تشاطرنى قدحا من القهوة ؟

- أشربها من غير سكر *

- مرة ؟

- المرارة تناسبنى *

- أنت بالالفاظ تلهو *

أطللت من النافذة * فى الأغوار ، البعيرات خفت

مياها *

- هى طعم حياتى

— لمبك بالالفاظ لا ينتهى •

• بوارق الجنون والجريمة تتربص بنا •

أغلقت خصائص النافذة • أضحينا وحيدين فى
العتمة • لمع الأحمر القسائى على الأظافر • تحرك
أصابعك • تقلصها فى تشنيج • تنهشك رغبة دنيئة
مكبوحة • بصوت مبحوح تقول :

— أفعال أريد ، وليس كلمات •

• أندلق الأحمر من زجاجة الطلام •

— لكنى فى الحقيقة لا ألهو •

• سال ، وخضب عنقها وصدرها ويدي •

• خيمت على المخدع برهة صمت •

أخرجت علبة المكياج من الدرج • وسكبت فى كل
الأرجاء قنينة الكحل •

• أغلقت الباب خلفى ، وخرجت •



انتهى ، ما عاد لك معين يأخذ بيدك مثل الأعمى •
• ويقودك عبر الدروب ، وانت مطمئن اليه • انتهى •
لم يعد للسكينة وجود • عليك ، اذن ، أن تسترجع
المعاناة منذ البداية • ادفع الجساب ، وانهض خارجا
من ذلك المقهى الزخيم • سر فى المتاهات الوعرة •
سلبيتك التى كانت من قبل دعة وكسلا ، راحة مزعومة ،
سحب بساطها من تحت قدميك • حذار ، لم يعد لك

سوى أن تتحرك على أرض زلقة • أفق اذن • املا
رئتيك بالهوام ، وتأهب • الآن ، أقول لك ، وأكرر
عليك القول ، تأهب •



أضحى البحث هديانا محسوما • من بشر مسحيق
تأتيني الاجابة • عالم من النماس هو • ومن أغواره
ينبعت دخان أمس منصرم ، اختلطت سحبه وتضاربت •
لا شيء غير ذلك ، لكننى اتخذت قرارى • يجب الخروج
من البوابات • وهل أبقى لتنهال ، وتطمرنى تلال
الرمال ؟



المساحيق والطلاء كلها زالت • النساء هنا أجمل •
سترتاح اليهن على أى حال • عندما يسعلن يقذفن أسنانا
ضخمة ، مثل طيور قدرة ، تفتح جناحيها وتكشف عن
مخالبها ، لكنهن جميلات ، صدقنى ، مهما أخافتك فى
البداية بفرابتهن ، ولكن الغرابة ايمامة الى كنز الأصالة
الذى لا يستنفد •



أعرف ماذا ستقولين لذلك الذى بالأمس تعرفت به •
ستقولين انك لم تعرفى الحب - أعرف - وانك لم
تأخذينى بين ذراعيك من قبل • ستقولين له هو ما سبق
أن همست لى به عند بوابات الرمال ، وقد ارتعشت
شفتاك واختلجت أهدابك • أكانت ارتعاشة كذب ؟
كلا ، كلا ، لم تكن ارتعاشة حب •

وتعلمت أنا ماذا سأقول لمن ستحل في حضنى من
بعدك *

بك تدنست ، ونضجت *
لازال على جلدى شذى من عطرك ، فلأتطهر منه
الليلة *

الليلة ، سوف نرتجل عندي-بوابات الرمال من جديد
قصة حب *

أنا فى جسدك ، وانت فى جسده مسماران دف
للموت * لعبة الأقتعة تمضى فى صمت * ويجب أن
تؤدى بدهاء ، فقد استقبل الجسد وافدا جديدا ، ولن
يكون الأخير بالقطع *

أعرف ماذا ستقوله لى من وراء القناع * قبل لم
تعرف الحب * ولم يأخذها بين ذراعيه رجل من قبل *
وسأظهار بآنى أصدق ذلك الصوت * فليكن * فانت
لم تولدى بعد ، وليس من السهل أن أقول اننى عشت *
وهل نخرج من اسار هذا العالم الذى شيد ببراعة وحكمة
ومكر ؟ سأرشف قدحى ، وأقول مبديا الاعجاب :

— لم أذق قهوة مرة بهذا الطعم *
وسيفد من وراء القناع الصوت :

— لا يوجد من يهبط قهوة أفضل منى

أقلب الفنجال • أهز راسي ، وأصدق على كل كلمة
تقال •



كلا • كلا • ما عدت أستطيع •• أن أواصل أداء
ما افتعلته في البداية ، وتماديت في تصنعه منصورا ان
المضى في التظاهر به والتصنع ليس بالأمر المتعذر على •
لكن الدور ثقيل ، بل تبين لي فجأة انه باهظ الثقل •
في لحظة ما كنت أتوقعها بأن لسوء الحظ أن كل شيء
سمح ودميم •



الزمن هنا توقف • والجمال يخلق من العزلة •
جمال شرس ، خشن بأن لسوء الحظ ان كل شيء
هناك سمح ودميم • مشاكل بشرتك ، أيا كان
نوعها ، ستنتهي • وماذا حقا يجديني لو ربحت
بأن لسوء الحظ ان شيء سمح ومقيم • مشاكل بشرتك ،
أيا كان نوعها ، ستنتهي • وماذا حقا يجديني لو ربحت
العالم كله ، أو جعلت آخرين يربحونه ؟ سرعان ما
ستتوقف العجلة ولا يبقى شيء هناك • كل شيء هنا ،
لا شيء هناك ، بل ليس هناك حتى ذلك هناك •



كنت على الدوام لا ترضى بالقبح ، وترفض أن
تتعايش معه • لكنك الآن سوف ترتضى القبح وتعايش
معه بألفة شديدة • أجل ، بألفة شديدة • هو قبح من

نوع جديد ، مفروض عليك • وسرعان ما ستتبين ان
القبیح ليس كله قبيحا ، والأمر لا يعدو أن يكون مواقف
ومواقف •



ولم أكن قد عملت لهذه اللحظة حسابا • لم أدرجها
في حسابات الجدوى • وما الجدوى الآن لكل جدوى ؟
انتهى • قضى كل شيء •



هكذا ؟ في التراب ؟ هكذا !؟

رفرفة جناح وتيد

من شظايا أحلام شيدت • لغو وثغاء وصدى مرتجع •
هنا ستتوحد بما هو خشن ضار قاس • مسامير صدئة
تدق فى الآكف وفى الأضلع والأحشاء والسيقان
والجمجمة • الأجنحة اذايت حرارة الشمس وشائجها ،
وأضحى كل شئ تنائم • ما عادت للذكريات فعاليتها •
لا تصدق ما تستميدها وتحكيها • بعد النهاية ، لا رجعة
الى الماقبل • وقمنا فى شرك اللامكان • كى تفلت عليك
أن تدور متفاديا عجم العلاقات ، ولكن هل بإمكانك أن
تنسى مسحة الشر على سحنة تلك المعجوز الطيبة ؟
لا جدوى • ما عاد بإمكانك أن تدخر بهجة لأيامك
المقبلة • كز على أسنانك • لا تدهش ، فتندلى شفتك
السفلى كما اعتدت • الحلو والمر أضحى عجينة واحدة ،
صنع منها حتى فراشك الذى رقد فيه غيرك •



جيرانك سوف يظهرون لك على هيئة تماثيل مزججة ،
تخفى الطين تحت البريق ، لكنها على أى حال طينة
محروقة ، من أفضل الطين ، طينة أسوان هى • وسوف
يؤدى آخرون أمامك ايماعات الحنرفيين ، فلا تنخدع

بهم ، فهم ليسوا من صنعوا تلك التماثيل • وفى النهاية
 ستظهر « جليلة » ملكة الجمال التليد ، فاذا أعطتك
 ألوشاح حذار ، فهذا يعنى موافقتها • قبلتك
 عريسا ، وستحاول اغرامك لاثنائك عن ترددك
 الذى قد يبين ، فتعرض مفاتها الفريدة ،
 المتميزة عن ابتذال الأخريات • وفى ضوء
 النهار رغم أن الدنيا ظلام سوف تحتفل بك ، وتعلن
 للملأ - وهى ليست بحاجة الى ذلك على أى حال ، لكنها
 الطقوس كما يجب أن تعرف - انها قد حصلت عليك ،
 وستتجلى طاووسا جميلا زاهى الريش • فاذا لم تنخدع
 بالذيل المنقوش فقد نجوت ، وسوف تعيش • لكنك على
 أى حال ميت لا محالة ، وسوف توضع فى تابوت ليس
 كتوابيت الآخرين ، لوحاته الخشبية من أربعة ألوان ،
 الأحمر ، والذهبي ، والأسود ، والأخضر • وسوف
 تحلم ، وانت فى الحفل ، وتتخيل نفسك فرعوناً ترقد
 على حشية من ريش النعام ، بينما يمضى جسمك يسود
 مثل منتجات عديدة توجد فى مدينة قديمة كانت تسمى
 طيبة • وسوف تعبر الفتيات فى رقصاتهن عن السعادة ،
 بينما يقلد الفتيان حركات الطائر ، ويحاول كل راقص
 أن يظهر قدراته المتميزة وبراعته • تتجمع من حولك
 الفتيات يفصحن فى رقصتهن عن روعة الشتاء وبهجته •

وفى النهاية ، تقف العربية ذات الثلاثة جياذ ، ويخطفك
السائق الأجنح المتشبح دوما بالسواد ، ويطرقع سوطه
فى الهوام ، ويمضى بك ، فى حركات سريعة مختلفة
تشبه حركات طائر أسطورى ، ربما كان نورسا ضخما
من بلاد التنين •



كانت السقطة ، مثل رفرفة جناح وثيد • لم يبق
فى الأرجاء سوى أصدااء صرخة ، وخدر نعاس مديد •
أزور على الدوام البيت ذاته •

الأشياء ذاتها من حولك ترقبك من أماكنها ساكنة
وديمة •

تصل نساء بأثداء مطاطية ، وأرداف مترهلة •
يبدلن فى حضرتك ثيابهن الداخلية ، وكانت من الدانتلا
زاهية الألوان • بشرتهن ذات يوم كانت ندية — أتذكر؟ —
لعمقها الأشواق • ذات يوم ؟ متى ؟ كنت أعرفهن •
يرقصن فى أوضاع مقلوبة • وتبدر منهن إيماءات •
تنفجر الشفاه • لو كان بإمكانك أن ترى ما وراء
الضحكة ، سوف ترى أسنانا نخر فيها السوس •
ومن تجويف اسود يقذفن عندما يسعلن قربانا ، ويطلقن
صرخات •

كانت الدرجات تئن تحت وطء الأقدام ، تتدحرج
عليها الضحكات •

اصعد الدرجات في الليل مثل خفاش •

اتكئ الى شجرة حسك ثعبانية ، شعنا الأخصان •

ما عادت الدرجات تقودك الآن الى مكان •

أرجوك ، لا تنظر الى وجهك في الفدير ، عندما
تنحنى عليه لتشرب •



سوف يصبح ذلك بيتك ومستقر • لن تكون
بحاجة الى عقد ابتدائي أو تسجيل • وما حاجتك الى هذه
الاجراءات ؟ هنا سوف تبتمد عن جحيم الآخرين •
أمثالك ممن حاربوا الطواحين ، ودخلوا في صراعات ،
بحاجة الى الاستقرار • هنا ستحقق لك راحة البال ،
وسكينة البدن •

هنا • • هنا • • لكن عن أي « هنا » تتكلم ؟

هم صغيب من حولك .

لم آت تأكيداً لحقائق ، ولا اجترار الأحداث .
حسناً ، حدث في وظيفتي ، ذات يوم اختلال . لا أنكر
ذلك . في لحظة صاعقة ألفاك أسارى ، ما عدت استمعاً
نفعياً لخامة .

تقرن اسمك على الدوام بي . تتشرف بنسبتي
اليك . مضيت تطوف المحافل معلناً تبعيتي لك . لكنك ،
تعرف ، أو يجب أن تعرف ، اننى لا أرتضى الانتماء ،
ولا اليك أنت أيضاً ، يا من اخترتك من بين الأصداف
جميعاً ، كى أتوسد رحمتك ، وبلا دنس أولد .

قدر لى ، عبر مشاق كبيرة ، أن أحقق ذاتى . مضيت
عبر الزمان ، دون أن أستمد وجودى من مجرد مهارة
صانعى . تجاوزت الالبسات التى أحاطت تحضيرى .
وما عاد لتاريخ ابداعى ، ولا لاسمك ، يا من جعلتنى
فى لحظة من اللحظات أمراً ممكناً ، أهمية تذكر .

تريد أن تعرف المزيد عنى ؟ فليكن ، سأبوح لك
بما لم أبج به لغيرك ، ولكن لو لم تستوعب الأمر ،
فلا تمض تسأل أسئلة ليس لها اجابة عندى .

أنا لا أجلب في النهاية اثباتا أو ايضاحا . لست ارضاء ليقين ، ولا القام لضوم . سوف أنتشلك فحسب . حسنا ، سمنى اذن ان شئت « ملاذا » ، « تحفة » ، « مخلصا » . لكنك ستشعر ازائي بالضالة والانطفاء أيضا ، فكما اننى الوجه الآخر للممكن ، أومىء الى منطقة لا يكون فيها عدم الممكن هذا ، ضياعا ، حتما .

أى منطقة هذه التى أحدثك عنها ؟ ، حسنا ، لا تتسرع . دعنى أشرح لك ، وهو ما لم أفعله من قبل مع غيرك ، وربما أيضا لن أفعله مع أحد من بعدك . هل رأيت فى منامك برقاً وامضاً ؟ هل رأيت فى لياليك سطوعاً متفرداً فى أغوار الظلمة ؟ هل رأيت سلماً تنزل عليه الملائكة من السماء وتصعد ؟ كلا ؟ لم تر ؟ حسنا ، فلتقنع الآن بما أقول ، وأعرف أن ثمة مثل هذه اللحظات ، وأن لمثل هذا السطوع وجوداً . ربما لم تكن من قبل تعرف ذلك ، ولا كان بإمكانك أن تعرف ، فقد كنت متلاشياً تحت ركامات ، أما الآن ، فقم ، أنت تبصر .



أنا نفمة ، ضوم استحالة لونا ، حيز تجسم . أنا وهم من ذات الطينة التى تستخدم فى تشييد التماثيل ورصف الأزقة على السواء ، لكننى لست مجرد طينة . فى شيء ليس فى غيرى . هم مجرد استخدام ، أما أنا ففي ذات الوقت الذى أظل فى الطينة منغلقة ، اكتسب شيئاً ليس فيهم . أنا اضافة .

أنا أوجه ، وأشع ، وأقود ، وأجذب •

أنا أشدو •

عليك الآن ، أن تبذل جهدا لاستنباط هذا الشدو •

من أين يأتي هذا الشدو ؟

تسال ؟



عليك كي تفهمنى أن تقبل على بوعى جديد •
عليك على الدوام أن تكشف فى أبعادا ، ربما ما كانت
قد دارت بخلد صانعى ذاته • وما الجدوى الآن من ذكره ؟
انى انفصلت عن صانعى - أهو أنت ؟ - ومضيت
موغلة فى طريقى • أريد ، كما ولدت فى أعماق
صانعى من قبل ، أن أولد من جديد ، فى أعناقك أنت •
أتعرف اذن ، ما الذى جعلنى آتى من بعيد ، عبر
الظلمات والخرائب اليك ؟



لا تعد الى انكار المكنون ، فليس الجوهرى هو الطين
أو الحجر • فى أعماق الأعماق اشعاع ، وجذب ، ونبض •
هناك عنصر كامن لا يحد •

ابحث اذن عن الامتداد اللامتناهى ، بغير قيد
من مكان أو حاضر • نقب لا عن الطين والحجر ، بل عن
العناصر التى تشدو • فهذا الشدو انما من الأعماق

ينبع * ومبارك من يمضى يسبر الأغوار ، حتى يفد الى
أسماعه فى الصمت ، شذو الينبوع *



هناك فى الأعماق أنا * فلست من هذه الأشياء
التي تصنعها الآلات ، وتنتجها المصانع كل يوم * لست
أنا منهم *



هم صخب من حولك ، وأنا أشدو * أقص عنك ذلك
الصخب * وأبحث فى الأعماق عني ، أنا الصمت *

تمنيت أرضا

أهذا هو الوجه الذى بكيت مريرا عندما غاب عنك ،
مؤثرة شفتاه أن تتلقيا من غيرك القبل ؟ أهذا هو
الوجه ؟ أنظر الى المرأة • اطلب مرأة ، فإذا لم تجد
انكفىء على مستنقع ، وأنظر ما انطبع على سطحه من
قسمات أسنة •

يجب أن تتعلم كيف تموت مع من تكره ، كما
كرهت قبلا من عشت معهم • حسك بالجماك يجب أن
يشوبه مذاق الكراهية • بها وحدها تقوى على تجاوز
الدماة الطاغية •

تنهد بارتياح ، ومدد جسدك فى فراشك الحجرى ،
فلن تجد الى جوارك دودة تتمدد بحيز المكان كله • لن
يتقلب الى جوارك جسد عدوانى شره ، يكتم باسم الحب
أنفاسك ، وهو انما باسم الكراهية ، حتى الثمالة ،
يمتص دمك ، ويتركك كل يوم ، بل كل ساعة ، زجاجة
فارغة من كل محتوى ، أو رجاء ، أو معنى •

أعد التوازن الى نفسك • ثم أعده الى من حولك •
عانيت هناك من الوحشة ، لن تشعر هنا بالضيعة • لن

تحتاج الى الأقراص فى الصباح ، أو قبل الدخول الى
 المخدع • ولن تبحث عن نظارتك ، فلا تجدها • ستكون
 على الدوام ، مكسورة العدسات على عينيك • تعطشت
 الى الدفء ، ولن تكترث هنا بمن لا يبادل الحب •
 أطرد الخوف الذى عشن بداخلك • بدد الهواجس التى
 تلدغك كأفعى • عذابات طفولتك وهموم الرجولة ،
 احباطاتك كلها ، اتركها خلفك ، فلا أحد منا يبدى
 نحوك اهتماما ، ولن تحتاج الى نسج أكاذيب عندما
 تموزك المادة الضرورية • حاول فحسب أن تبث فيمن
 حولك روح التسلية والبهجة •

بدد شكوكهم فيك •

(صمت طويل ثم يملو عزف منفرد)

وتريه ا عزف كمان ! • من أين يأتى صوت هذا
 القوس يلمس الأوتار فى هذه الخرائب !؟ من أين ؟ من
 أين يفد هذا الصوت الشجنى ؟ أهو أنين أم نواح أم
 أهة أم صراخ مكتوم ؟ أم لا هذا ولا ذاك هو ، بل نفخ
 الريح فى بطن الجبل ؟

(يمضى العزف مبتعدا حتى يتلاشى ، ويمم الصمت
 من جديد)

من كانت ترقد فى هذا الفراش من قبل ؟ شذى
عطرها لازال عالقا به • وخصلة من شعرها لاصقة
بحشيته • من ؟ لا تسأل أسئلة ، سبق لفرك أن سألها
عندما رقد فى هذا المضجع من قبل ، دون أن يلقي
اجابة • من ؟ متى ؟ كيف ؟ وعلى الأخص لماذا ؟ أسئلة
فات أوانها ، وما عاد لها جدوى •

لا تستدع الماضى ، دعه بأيامه الخوالى مقصيا •
دع أيضا المستقبل حتى لا يجتاحك بغوامضه ، ويقضى
عليك •

انت الآن فى لحظة تنوير ، وتهدمت من حولك
الحوائط •
وجدت خلاصك •

لا تعتقد انك انسان رائع • انفض عن كاهلك
الغرور • تواضع ، ترى أشياء ما كنت من وراء كبرياء
نجاحاتك ، تراها •

ما عدت بحاجة الى كل هذا الريش ، فما عاد هنا
موسم للتزاوج •

اقبع فى ملجئك • ولا تشرئب برأسك ، متطلعا من
جحرِكَ ، باحثا عنها ، فهى غير موجودة بدورها مثلك ،
وان كانت فى مكان ما من حولنا •



تعانى من اضطهاد مريب ، تتسوط فى الكذب
ومخادعة نفسها والغير •

بعد أن نظرت الى وجهها فى مرآة معتمة ، رحلت •
عانت خواء عاطفيا ، وللفرح لم تذق طعما •

تقدمى • تقدمى • اقتربى • لم هذه النظرة
الجزعة فى عينيك ؟ ألم ترى من قبل من تعمرى من لحمه ؟
اننى هنا فى حمام الرمل والتراب هذا ، لا بد أن أتعمرى
من كل ما هو ترابى • ولن يبقى منى الا ما هو مقاوم ،
نسبيا على الأقل ، وها أنا الآن يا صغيرتى ، أتعمرى
أمامك •

وسوف أكون مهذبا مع من هم مهذبون • أما من
ليسوا مرهفى الحواس ، فلا جدوى من ممارسة الرقة
والتهذيب فى معاملتهم •



تمنيت منذ شبابك أرضا للحرية ، وها أنت تضع
قدمك عليها • هنا لن يوجه اليك أحد نقدا • لن تسمع
اهانة • كفاك ما تلقيته من اهانات هناك • كفاك •

انهض ، فقد استرددت حريرتك • فى هذه الأرض
الخراب ، انهض • ارقد • تمدد ان استطعت ، أو سر فى
الهواء رويدا ، فما عاد أحد يعترض طريقك • الأذان
كهوف تتبدد فى متاهاتها الكلمات ، وتضحي أضداد
مبهمة مفرغة من معانيها • والمآقى آبار سحيقة ، تهوى
فيها الاهانات بلا جلبة ، وتستقر فى القاع ماء أسنا •
الصمت سكاكين تقطع الكلمات ، اربا اربا ، وتذروها
فى مهب الريح قبلات •



هنا ، لن يضايقك أحد بقول جارح • تستطيع أن
تنام ملء جفنيك ، ان بقى لك منهما شيء ، بل وان يعلو
شخيرك ، فلن يزعج ذلك أحدا ، ومن ذا الذى يوجد هنا ،
بعد كل شيء ؟ لا أحد • أعنى لا أحد سوى نحن ، ونحن
لا يحسب لنا حساب ، ولا ندخل فى أى تعداد • سقط
متاع ، نحن ؟ هذا ما آل اليه حالنا ، أو حال من لم تمتد
اليه يد الحراس • فنحن ، مثل كل شيء فى هذا الزمان
أضحينا محلا للبيع والشراء ، بل وللصفقات الكبيرة
أيضا • ويدخل المال جيوب غيرنا • ولكن ما الذى يضيرنا
فى ذلك ، اليس الكفن بلا جيوب ؟ فلنعد الى الموضوع ،
ولنبقى فى حالنا ، الذى أضحي لا يسر ، على أى حال •
فلنعد الى موضوعنا • أقول لك ، هنا نم ، واسترح •
لن يقض مضجعك ولا نقيق تلك الضفدعة الضخمة
الجميلة الجوفاء • وحتى لو جاءوا يحملونك لا تكثر

بهم • لا تتملل فى مضجك ، ولا تعنى حتى بأن ترفع
أنظارك اليهم • ابق فى مكانك ، ودعهم يفعلون بك
ما شاءوا ، ولا تعر تصرفاتهم الخادشة للحياء التفاتا ،
وهل لك حياء حتى يخدش ؟ ارح بالك تماما ، وانفض
عنك كل التوترات والهموم ، فهنا لا شيء • لا شيء هنا •



لا • لا شيء • مجرد ثعبان صغير ، ربما جاء يندس
بيننا ، يلتمس الى جوارك الأمان والحماية ، أو يبحث عن
دفء مفتقد •

حتى الأفاعى تبحث عن الدفء ، أو عن الظل تحت
كيانك المسجى مثل كومة من زلط •



ياه ، على هذا السرير ، مرة أخرى ومن جديد •
تجد الى جوارك فى ذات المكان وحشا جديدا !

الوحش القديم هجرك •

فى ذات المكان الذى كان يتمدد فيه الوحش القديم
ويتمطى ، ينام الآن وحش جديد • مرحبا •

عيون لا تطرفي

علمني القتل • أجوب الدروب خائفة • ماذا لو
قدر لي أن أسقط على الأرض جاحظة العيين مثلث ؟
حسن لو قُدر لي أن أبقى في مرقدي أبد الأبدين ،
مسمرة • لكن ماذا لو استيقظت ؟ ماذا لو استيقظت
ووجدتك أمامي تمثل ، وفي أعقابى تخطو ، وإلى جوارى
تقف ؟ تهمس ، وفي أذنى يسرى ، حتى النخاع ، فحيحك ؟



أريد حصانا أسود • أربت على عنقه المشرئبة
وأسند رأسى • أمتطيه وأركض ، أركض ، في الليل
أركض ، وكلما سمعت ديبية اطمئن قلبي • أنظر على
الدوام خلفى عله ، هو أو أى شخص من طرفة ،
يتعقبني •



سمعت أن «أبا الليل» يعتزم تسليط طوفان ليفنى
البشر •



قررت على الفور أن أزوره ، وأتساور معه • فى
الطريق عصفت الريح • علا زئيرها • امتلاً بالارتياح

تجويف صدرى • هطلت الأمطار ، فبللت شعرى •
التصقت غداثه بكتفى ومؤخرة عنقى ، والاطراف
بأعلى عجزى • رفعت ذراعى متوسلة ان تغطى السيول
وجه الارض ، وألا تنقطع أبدا •



غمر الظلام وجه المسكونة • فى الظلمة هدات
نفسى ، فما عاد يتوجب على ، مثل الآخرين أن أهب من
رقادى ، وأستيقظ • ولماذا أستيقظ؟ أسمع السنة للهب
فى الأتون تنز وتقرقع ، انتظارا لأن يلقي بى فيها
عندما تحمى ؟ ولماذا ؟ ألم يعلمنى هو القتل ، فقتلته ؟

فى اليوم السابع ، ما عدت أسمع للعاصفة صوتا •
ما الذى حدث ؟ هل قتل العاصفة كما قتلنى من قبل ،
وحان دورى أن أنهض ؟ أطللت من صندوقى • ومن
كوتى ، نظرت • ملأت الضياء عينى ، فما قدرت للمحظة
أن أبصر • نظرت الى سطح المياه المترامية الأطراف من
حولى • كان الصمت شاملا والأمواج ساكنة كالصخر •
تطفو بعض الجثث ، والبعض ينبىء عن وجوده فى
القاع من حولى • كل البشر تحولوا الى طين وأعشاب
مائية • هل آكون الوحيدة التى نجت من الطوفان ،
فأنال البركات ، ويغفر لى ؟

لا أطلب سوى الاشفاق والرحمة • لا أطلب غير
ذلك • بداخلى بذرة لكل مخلوق حى • وأستطيع أن

أملأ وجه الأرض ، عندما تجف ، ثمارا من بطون -
وليس بلازم أن يكونوا ضائعين ، يائسين أشرارا ،
مثلما كنت ، ولكن هل بإمكان الذئب ألا يخطف الحملان ،
والأفعى ألا تبخ السم وتلدغ ؟



من قبل علمتني القتل • علمني الآن الحب •
علمني أن أبدع من الطين بشرا • علمتني الشهوة
والادمان ، علم ثديي الآن أن يسقي الرضع لبن العنان •
ها أنت يا قاسية القلب تلينين • تذوبين رقة ،
يا صاحبة القبضة الحديدية • أنسيت النصل الذي
يقطر دما ؟ يا جذباء ، تريدين أن تضحي الآن حقلا
للحراث معدا ؟ تصرخين « أريد بيتا » ؟
صفت السماء • فتحت النافذة على وجل ، فرأيت
كل شيء حسنا ، والبشر استحالوا طينا ، والأطيار على
قمم الأشجار تطلق صيحات الشكالي ، والحمام التي
تفحمت تطلق هديل الندابات •

بالأمس لم نكن بشرا • كانت المردة والشياطين
والوحوش الرهيبة قدوتنا • دلنا أنت اليوم على زهرة
الخلود ، ونجنا الآن من الثعبان الأرقط •



تعال اليينا • لا تذهب الى هناك • لا أحد يذكرك
هناك • لا أحد هناك • الكل رحلوا • السوق انفض ،

والبدو نهبوا كل شيء ، وما عاد لهم بدورهم وجود .
 ثقيل الأحمال ، ضلت قوافلهم الطريق في الصحراء .
 خرجت الأسود البطاش وانقضت عليهم ، وهلكوا .
 ما عاد أحد هناك . نحن وحدنا هنا ، ولا غيرنا .
 تعالى إلينا . لا تخافى . نحن نعرف كل شيء .
 الجريمة الكاملة التي كان يحكى لك عن تفاصيلها
 لا تنطلي علينا . سفاحا حملت به ، وفي السر ولدته .
 لا شيء يحدث بالنسبة لنا في الخفاء . لا شيء . أودعته
 صندوقا قديما ، وغطيته بالأعشاب الجافة وبعض
 الأحطاب . قلت هذا مركب شمس .

●
 هازلنى . أمضيئا معا ساعتين .

●
 وإذا خرجت من عندك هنا ، من هذا البيت الأصفر
 القديم الرطب خلف مبنى المحكمة ، فمن ذا يكون أبا لهذا
 الطفل ؟ فى أحشائى سوف يتقلب ، وعندما يخرج الى
 الوجود سيكون ملمونا . سوف يسأل « من أبى ؟ » ولن
 يلقي اجابة . وأنا من قبله لن أعطى اجابة . سأخفف
 بصرى الى الأرض . سوف ألقى القصاص . أتعرف
 ما قصاص الحمل سفاحا عندنا ؟ ما قولك اذن فيما فعلت
 بى ؟ هل سوف تكفينى هذه القروش التي تدسها فى
 راحتى ؟ مرحى لك ، مرحى ، سوف تخرج فى عباءتك

الحريرية على الناس ، تدهى الأخلاق الحميدة ، وترجو
أن يتخذوك قدوة ، ولكن من أين هذا الطفل؟ وبأى اسم
أذن أسميه ؟



هل تعرف ان الذى تركته فى صندوق السيارة هو
زوجى ؟ ساعدنى *



ألقيت به فى النهر • ترفقت به الأمواج • دفعته
عبر الظلمات الى الشط ، حيث تلقفته أيدينا • من ترعة
البراكين انتشلناه • حملته سواعدنا ، وهبناه حبنا •
وقال البعض « فلنئذ هذه البذرة ، قبل أن تنمو، وتعمل
فيما القتل » رفضنا • وعلمناه الحب •

قومنا فكره الحائر • وهدأنا من روعه ، فالموت فى
الأرض لابن الأرض خاتمة •

كنت تفتقدين الدفء ، وعلمناه نحن كيف يهيم
لنفسه قبرا من الثلج • أودعنا فى راحته القلب الذى
بعد أن قتلت عنت بالاحتفاظ به • كنت تعرفين انه
يحبك • لم يعرف قلبه الشر يوما ، ولم يمتلئ بالحقد •
فى الصباح نوقظه ، ونقدم له افطارا ممزوجا بالسم •
وعندما يتناوله فى كل مرة لا يموت • فقط يسقط •
وتحتضنيه • تطلبين منه أن يسامحك ؟

اليوم تكتمل الخديعة ، تماسكى • ولا حتى المنجمون
يستطيعون أن يخبروك بما أنت وحدك تعرفين • نبني
قناع البراءة • لا تتحطمي • دعك من البكاء • بعد
زوجة أبيه جئت أنت • خدعته • قلت أى فتاة تتمناك
زوجا ، ووافقت على الفور •



استيقظي • عشب الشيخ يغلي • الرعشة فى كل
الأطراف • اللون أصفر ، والتساؤل فى العيين أبدى •
الطرقات على الباب تملو ، ويتحول كل شئ الى رماد •
الأزرق يطفئ • وفى التربة القريبة استقر القلب
ليؤنس وحدتك •

تماسكى • لا شئ • انه نوع من التحدى ، وفى
الليل نشق طريقنا عبر غابات الشوك ، وإلى الفجر
نمضى •



تصدى للشر ، وارتدى درع الرعب • استقل
عربته ، وانطلق عبر الاحشاء ، فنظم الكون ، وخلق من
أمثالك كثيرين • نفث من شفثيه فى الطين السنة
الذهب ، وجعل منك مرضا مسلطا على الأبدان • لكن
بدونك ، على أى حال ، ما كانت الأطيوار تبني أعشاشها
بين الأغصان ، وما كانت أسماك البحار لتضع بويضاتها
فى الاجمات ، ومن السماء ما كانت السحب لتبعث

أمطارها ، وما كان في البرية لينمو النبات والشجر ،
وما كانت لتثبت عند الينابيع وفي قاع الخلجان زهرة
الخلود •



انحنى • أربت على شعرها ، وأقبل جبينها ، حتى
في أشد حالات تقزى •

وجدت صحابا جددا

(خطوات تقترب)

أحببته • عاملك كطفل يحتاج الى ترويض
ورعاية •

يلاطفك أحيانا ، وأحيانا أخرى كثيرة ، يقسو عليك ، لتتقيا ما بداخلك • وحتى عندما كان يفيب عنك ، وترفل في الحرير ، كان يقول لك « لا تنس • انى آت اليك » لقاءكما محتوم ، فأصبحت عاشقا له ، ومنحك هو أشد أسراره خفاء • ما عدت تكترث بسعادة أو معاناة • وما عدت ترهبه • « غدا ، ترد ما للطين للطين » منه جئت واليه تعود • مفتوح العينين ، مضيت تسير الى الهاوية •

علاقتكما هي وحدها الأبدية • ما عاد هو يذهب ويجيء • احتضنته ، حتى و انت تمارس على الأسرة الوثيرة العشق ، وتقذف ما بداخلك ، كنت لا تنسى انك طين ، تقذف فى رحم من طين ، طينا • صار يفيض معك • يحتضنك ، مثل جلدك ، ويحتويك •

(موسيقى)

نبيل هو ملء بالحياة ، حقا • غامض ، مبهم ،
لا يستجدى اعترافا ، يهيم فى البوادي وفى المدن •
ينزل الأقبية ويطوف الأسطح ، وتلمس هامته السحب •

(خطوات تبتعد - يفد الصوت من بعيد)

سنوات طوال ، ظل - ربما دون أن تعرف -
يحميك • يعد العدة للقاء ، طال اشتياقه واشتياك
إليه • تتحاشاه ، وتبحث عنه • لا مفر • الخيوط جد
متشابكة • والدروب كلها تسكب المارة من درب إلى
درب •

(صمت)

يتبعنى وأتبعه • فى الخفاء أتبعه وفى العلن • دون
أن يعرفنى أتبعه ، ويتبعنى دون أن أعرفه • اذا لاحت
لى هزيمته أتقدم وأنتصر • واذا بدوت انى أنهزم خطا
هو قدما وحقق الانتصار ، كل شىء يحدث لى وله معا •

(خطوات تقترب)

- اضطرتنى ظروف أن أتغيب •

(برهة صمت)

بادرنى بجزع :

- أحس انك تضيع منى •

تهدج صوتى ، وسألت :

— أحقا تبحث عني كما أبحث عنك ؟

لا زالت النافورة تقذف الماء فى الخرائب •

ولا زال المصفور الذى جمده البرد يفتح منقاره
محاولاً الغناء بصوت مختنق •

والقط جاء يتمسح بساقلك • • تشمر بشفاء فرائه
يلامس سروالك •

عاد يستيقظ بداخلك الوهم القديم •

(صغير قطار يعتمد)

جاء الصوت من سماعة التليفون ينسكب فى أذنيك
صارما :

— يبدو انك احتفظت فى أعماقك بعدم اليقين •

ارتبكت • لم تعرف بماذا تدرا هذا الاتهام • قلت :

— بين الفينة والفينة ، يراودنى أمل • •

أجاب :

— نحن لا نحب ، ولا نكره •

صمت •

— ولا نأمل •

صمت .

— ننظر الى من حولنا بعيون حزينة ، لكنها تفرح .

— أعرف قواعد اللعبة .

— اذن ، قل لى لماذا هى تفرح ؟

— لأنه ما عاد ينطلى عليها الزيف .

جاء صوته لاذعا :

— أبعد ذلك تأمل ؟

لم أجب .

أصدر حكمه ، وكان صارما :

— من هذا الأمل ، سوف ينحدر شقاؤك .

عاد جرس التليفون يرن . كان هو :

— تعرف لماذا آقسو عليك .

وقبل أن تنتهى المكالمه ، أضاف :

— لأنى ، ولا شك ، أحبك .

(جلبة)

ذات صباح يقرئك التحية . يقول لك « لا تخف ،

آمن فقط ، انى أحبك » . يعانقك . يستل خنجرا ،

وبطمنة عميقة فى ظهرك يرديك . تنظر اليه بعينين

حائرتين ، فيقول لك « عارك انتهى » . كل شىء سينتهى .

وبعد قليل ، تبدأ معاناة من جديد .

(أصوات مختلفة - لهاث)

تقف على قدميك • تكتم نسيبك ، فالآخر لا يجب
أن يكتشف شقاءك • تتركه ينصرف • يستدير يمضي
يجر جر قدميه ، بينما الضوء فى الأرجاء يخنو •

تعلمت كيف تنزوى عندما يتوسل اليك • تتراجع
لأنه بغير ذلك سوف يموت ، فلا يابه لوجودك بعد
ذلك أحد •

(صمت مطبق • ثم هسيس الريح)

مضيت أجلس فى الركن المهجور ، أنتظر

على الدوام أنتظر صوتا ، وقع خطوات ، طرقا ،
نداء ؟ بادرة ما ، لا أنكر • وصلنى الصوت أكثر من
مرة • تارة كان همسا ، وتارة كان صياحا هادرا ،
ولكن على الفور كنت أصم أذنى • وهكذا عرفت الصمت •
طردت عن فصنى العصفور الفرد •

تبدلت الأزمان ، وما أنا أنتظر عودة غائب
لا يجىء • الروح توحشت • امتلأت رعبا • الستائر
مسدلة • هبط الليل ، هل سيجىء ؟

(خطوات مختلطة)

الدروب مليئة بالشراك • وما أكثر ما نتردى فيها
مختارين ، فقد أجهدنا الاحباط والملل • ترى هل

تشرق شمس من جديد ؟ هل يطل من السماء ، البعيدة
البتربة ، قمر ؟ متى ؟

(موسيقى)

وفجأة يتفجر فى الأرجاء ضوء باهر . الأسرار
تنفضح . الانتصار لم يكن انتصارا ، وذلك الآخر
ينكشف . كم تتوق أن يهبط الليل ، وألا يشرق النهار .
تنكس الرأس وتجري باحثا عن ملاذ ، فيه تختبئ .
أضحت الهزيمة حثفك وحليفك . تتبعها وتتبعك .
التصق بك ، يا للمار ، الى الأبد .

النهار يهتك الحجب . أهيلوا التراب ، وأسدلوا
الستر .

الليل وقت للحصار . يقيم من حولنا حوائط
حصينة ، تصد من يريد اختراقها ، ويحفر خنادق للعيان
غير بادية ، تغدع من تسول له نفسه اجتيازها . الليل
الرحيم يحيطك بدهاليز ملتوية . يسمرك فى مكانك
ويحميك . ويكف الوحش الضارى عندئذ عن الزئير .

لا تسأل من أين يفد اليك هذا الزئير . كفاك انه
سيخفت ، ولن يعود يصم أذانك ، ويقض مضجك .
القتلة من حولك ، بلا عقاب ، خارج الأسوار ، يرتعون .
ينتظرون أن يطلع الفجر ، حتى يعلنوا للملأ براءتهم .

(تنهد الموسيقى)

لو جاء من جديد ، لن يجد الباب موصدا • تمال ،
نتعادت • جمدني برد العزلة بين قوم غرباء • لو جاء ،
لو جاء ، لو جاء • •

الأفضل ألا يجيء • •

عبثا سيطرق الأبواب ، ولن يفتح له أحد •

وجدت صحايا جددا •

ويا لبئس الصحاب •

(صخب ممتد)

« الدقي — جاردن سيتي — مايو ١٩٨٧ »

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ضوء قبر لا تبدل أسابيره	٩
وددت أن أوله نامة	١٥
فلا تخف هنا ، مليا	٢٠
زهرة على أباء	٣٣
رأس صبيبة	٣٩
الفراشة	٤٣
سماوات حفيضة	٤٧
بوابات الرمال	٥٥
دفرقة جناح وثيد	٦٣
هم صخب من حولك	٦٧
تمنيت أرضا	٧١
عيون لا تطرف	٧٧
وحدت صحابا جددا	٨٥

صدر من هذه السلسلة :

- | | | | |
|----|------------------------|-------------|-------------------------|
| ١ | فتحي غالم | (قصص) | ● الرجل المناسب |
| ٢ | عبد الرحمن فهمي | (قصص) | ● صوموع رجل كاهن |
| ٣ | أبو المصطفى أبو النجاة | (قصص) | ● الجميع يريدون الجائزة |
| ٤ | بهاء طاهر | (قصص) | ● بالأسس حلمت بك |
| ٥ | شكري عياد | (قصص) | ● رباعيات |
| ٦ | عبد الغفار مكاوي | (مسرحيات) | ● من قتل الطفل |
| ٧ | جمال الفيطناني | (قصص) | ● منصف ليل الغربة |
| ٨ | محمد الخرنجى | (أقاصيص) | ● رشق السكين |
| ٩ | فاروق خورشيد | (قصص) | ● وعلى الأرض السلام |
| ١٠ | عبد الحكيم قاسم | (رواية) | ● الأشواق والأسى |
| ١١ | جميل عطية إبراهيم | (رواية) | ● والبحر ليس بهمان |
| ١٢ | سحر توفيق | (قصص) | ● ان تنهد الشمس |
| ١٣ | سعد مكاوي | (رواية) | ● لا تسكنى وحدى |
| ١٤ | شكري عياد | (قصص) | ● كهف الأغيار |
| ١٥ | اقوار الشراف | (قصص) | ● محطة السكة الحديد |
| ١٦ | محمد إبراهيم أبو سنة | (م شعبية) | ● حصار القلعة |
| ١٧ | يحيى حلى | (قصص) | ● سادق الكهل |
| ١٨ | مخلوف عبد الرحمن | (قصص) | ● أربعة فصول شتاء |
| ١٩ | بهاء طاهر | (قصص) | ● أيا الملك جئت |
| ٢٠ | عبد الرحمن فهمي | (قصص) | ● تاريخ حياة صمم |
| ٢١ | عبد جبير | (قصص) | ● الوداع : تاج من العشب |
| ٢٢ | محمود الورداني | (أقاصيص) | ● التجوم العالية |
| ٢٣ | عبد الرحمن الشرقاوي | (رواية) | ● قلوب خالية |
| ٢٤ | إبراهيم عبد المجيد | (قصص) | ● الشجرة والعصافير |
| ٢٥ | سليمان فياض | (قصص) | ● عشتان يا صبايا |
| ٢٦ | عبد الحكيم قاسم | (رواية) | ● طرف من خبر الآخرة |
| ٢٧ | جار النبي العلوي | (قصص) | ● علم القرنفل |
| ٢٨ | شفيق مكار | (رواية) | ● المعثر الأسود |

٢٩	حسنى عيد الفضيل	(رواية)	● تسليق الجدار الأملس
٣٠	محمد التسي لنديل	(قصص)	● احتضار قط عجوز
٣١	عبد الله خريت	(قصص)	● رحلة الليل
٣٢	عالية مسدوح	(رواية)	● حبات الفتاتين
٣٣	محمود ديباب	(مسرحية)	● أرض لا تثبت الزهور
٣٤	عبد الفتاح الجميل	(قصص)	● الخوف
٣٥	مطوف عبد الرحمن	(مسرحيتان)	● ما أجملنا
٣٦	يوسف القصيد	(قصص)	● لم يمد الضحك ممكنا
٣٧	لاروق خورشيد	(قصص)	● جبال السام
٣٨	أحمد الشيخ	(قصص)	● العنان الميفي
٣٩	إبراهيم أصلان	(قصص)	● يوسف والرداء
٤٠	يحيى عبد الله	(مسرحية)	● مسألة لبني
٤١	يوسف أبو دية	(قصص)	● عكس الريح
٤٢	محمد جبريل	(قصص)	● هل
٤٣	نعمان عاشور	(مسرحية)	● غدايت العجانة
٤٤	عائد خصباك	(قصص)	● الطائر والنهر
٤٥	علاء الديب	(قصص)	● زهر الليثون
٤٦	أمين ريان	(قصص)	● الطواحين
٤٧	سامي فريد	(رواية)	● رائحة البحر
٤٨	عاطف القمري	(مسرحية)	● حفرة صاحب الدولة
٤٩	خيرى شلبي	(قصص)	● اسباب للكي بالنار
٥٠	بدر الديب	(قصص شعري)	● السنين والفلسم
٥١	عبد الحكيم قاسم	(رواية)	● أيام الانسان السبعة
٥٢	محمد زفزاف	(قصص)	● الملاك الأبيض
٥٣	محمد البساطي	(قصص)	● هذا ما كان
٥٤	جبرا إبراهيم جبرا	(رواية)	● الغرف الأخرى
٥٥	طلعت فهمي	(قصص)	● أغنية حب حزينة
٥٦	ربيع الصبروت	(قصص)	● انكسار العروق
٥٧	عبد الوهاب الأسواني	(رواية)	● أخبار الدراويش
٥٨	فتحي عبد الفتاح	(قصص)	● النيل والفضب
٥٩	نهاد شريف	(رواية)	● الشيء

٦٠	عبد العزيز مشري	(رواية)	● الفيوم ومنابت الشجر
٦١	سؤاد التكرلي	(مسرحيات)	● الصغرة والظوف
٦٢	نسيم عطية	(قصص)	● نورسان ابيضان
٦٣	سعيد الكفراوى	(قصص)	● ستر العورة
٦٤	محمد سليمان	(قصص)	● الوجه الآخر للقمح
٦٥	محمد المغزلجى	(قصص)	● سسلى
٦٦	سليمان الشبلى	(قصص)	● رجال من الركب العالى
٦٧	رضوان عاشور	(قصص)	● رايت النخل
٦٨	ليل الثمان	(قصص)	● ليلة حب مجنونة
٦٩	بدر الدبيب	(المستحيل والقيمة) تجربة فى الديق الكتيك	●
٧٠	توفيق الحكيم	(مسرحية)	● النعيم العالى
٧١	محمد عبد السلام العمري	(قصص)	● شمس بيفاء
٧٢	عبد الحكيم لاسم	(قصص)	● ديوان الملحقات
٧٣	احمد زغلول الشبلى	(قصص)	● شتاء داخل
٧٤	وجيه الشربتل	(رواية)	● حكاية شارعنا
٧٥	فهد العتيق	(قصص)	● اذعان صغير
٧٦	محمد البساطى	(قصص)	● منحنى النهار
٧٧	ابراهيم فهمى	(قصص)	● العشق اوله القرى
٧٨	ابراهيم عبد المجيد	(قصص)	● اغلاق التوالذ
٧٩	هالة البدرى	(قصص)	● اجنحة العصافير
٨٠	يوسف ابو رية	(قصص)	● وش الفجر
٨١	ممدوح عدوان	(مسرحية)	● حكى القرايا وحكى السرايا
٨٢	جمال الفيضاني	(قصص)	● من دفتر العشق والغربة
٨٣	احمد الشبيخ	(قصص)	● البحر الرمادى
٨٤	محمد عبد السلام العمري	(قصص)	● بستان الازبكية
٨٥	خبرى شلبى	(رواية)	● نكس العتب
٨٦	جميل عطية ابراهيم	(قصص)	● احاديث جانبية
٨٧	ابو العلا سلامونى	(مسرحية)	● رجل فى القلعة
٨٨	سعيد الكفراوى	(قصص)	● مجرى الميون
٨٩	ليل الشريينى	(قصص)	● الكرز
٩٠	ادوار الطراط	(قصص)	● ساعات الكبرياء

٩١	محمد سلماوى	(مسرحية)	● سلوى
٩٢	نبيل عبد الحميد	(قصص)	● غزو الأرناب
٩٣	حسام قنر	(قصص)	● أم الشعور
٩٤	عبد الفتاح رزق	(قصص)	● العودة من داخل الرأس
٩٥	إبراهيم أصلان	(قصص)	● بحيرة المساء
٩٦	محمد سليمان	(قصص)	● قراءة في جريدة الصباح
٩٧	نعيم عطية	(رواية)	● ثبلة الريح

الإهداء القائمة :

ادوار الخراط	(رواية)	● انبلاج الصحراء
رضا اليهات	(قصص)	● طلوس بفرية
فؤاد قنديل	(قصص)	● شدو البلائل والكبرياء
محمد عبد الرحمن المر	(قصص)	● صندوق الدنيا
يوسف القعيد	(رواية)	● خد الجميل
أحمد سيويلم	(م شعرية)	● الفارس
شوقي خميس	(مسرحية)	● الخناتون
سمير عبد الباقي	(رواية)	● هكذا تكلمت الأحجار
محمد محمد عبد الرازق	(رواية)	● كوبرى التاريخ
مصطفى الأسمر	(قصص)	● غوص مدينة

الأعداد الممتازة القادمة

● المذبذب في الأرض	(رواية)	طه حسين
● قطرة التي كفر	(رواية)	د. مصطفى مشرفة
● خيوط المنكبوت	(رواية)	إبراهيم عبد القدوس الكافري
● إبراهيم الثاني	(رواية)	إبراهيم عبد القدوس الكافري
● ناكب الدوابل	(رواية)	يوسف السباعي
● فساد الأمكنة	(رواية)	صبري موسى
● قصص مقلقة	(قصص)	يوسف اندريس
● أغنية الرياح الأربع	(دراما شعرية)	عل محمود طه

تطلب كتب هذه السلسلة من

- باعة الصحف ● مكتبات الهيئة
- المعارض الدائم للكتاب ● مكتبات الهيئة - المنتقلة بالأحياء والأقاليم
- معارض الكتاب بداخل مصر وخارج

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

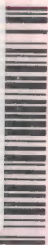
رقم الايداع بدار الكتب ١١٢٩٨/١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4217 — 4

العلاقة بين «الآن» و«الماضي»... بين التجربة المعاشة أو بين المشهد المنظور وعناصر الوجود التي تتلقاها الحواس في اللحظة الراهنة، وبين ما تبقى من تجارب سابقة في الذاكرة وما تركته من ندوب المذاب أو معرفة المبهجة... هذه العلاقة الفريدة هي «العالم» الذي يأخذ منه نعيم عطية كنوزه: فهذه العلاقة التي لا تقوم إلا في أعماق الذهن الإنساني، تكشف عند المبدع عن آساف وأفاق وأبعاد لا حدود لها، تكشف عن عالم كامل غير ما تتعامل معه الحواس وغير ما تختزنه الذاكرة: عالم أكبر بكثير من حاصل جمع المحسوس والمختزن، لأن الشعور الإنساني، يضيف إليه بغير حساب: الشعور بانسحاب الألفة، أو تغير الأماكن أو نسيان الآخرين، أو مجرد تحول الأشياء من مظهر لمظهر، ومن زاوية نظر إلى أخرى، ومن عمر إلى عمر، ومن براءة إلى خبرة ومن تفرد إلى اختلاط.. من نوع من الوجود إلى نوع آخر، ومن وجود إلى فناء بالنسبة للحواس، وليس كذلك بالنسبة للذاكرة، التي تستبقى لما اكتمل وحق عليه الفناء نوعاً خاصاً من الوجود المستمر.

ومن «خبرة» هذا الشعور الإنساني، ومن الوعي بذلك العالم الشاسع المترامي بين ضفتي الإحساس والتذكر، من تلك الخبرات وذلك الوعي يتكون فن نعيم عطية، من الفن، وربما من الحياة أيضاً، لكي يمتحه بجداره مكانة فريدة في أدبنا الحديث، وحصل عليها منذ روايته الأولى في الستينيات: المرأة والمصباح.

2.736
372q



0534746